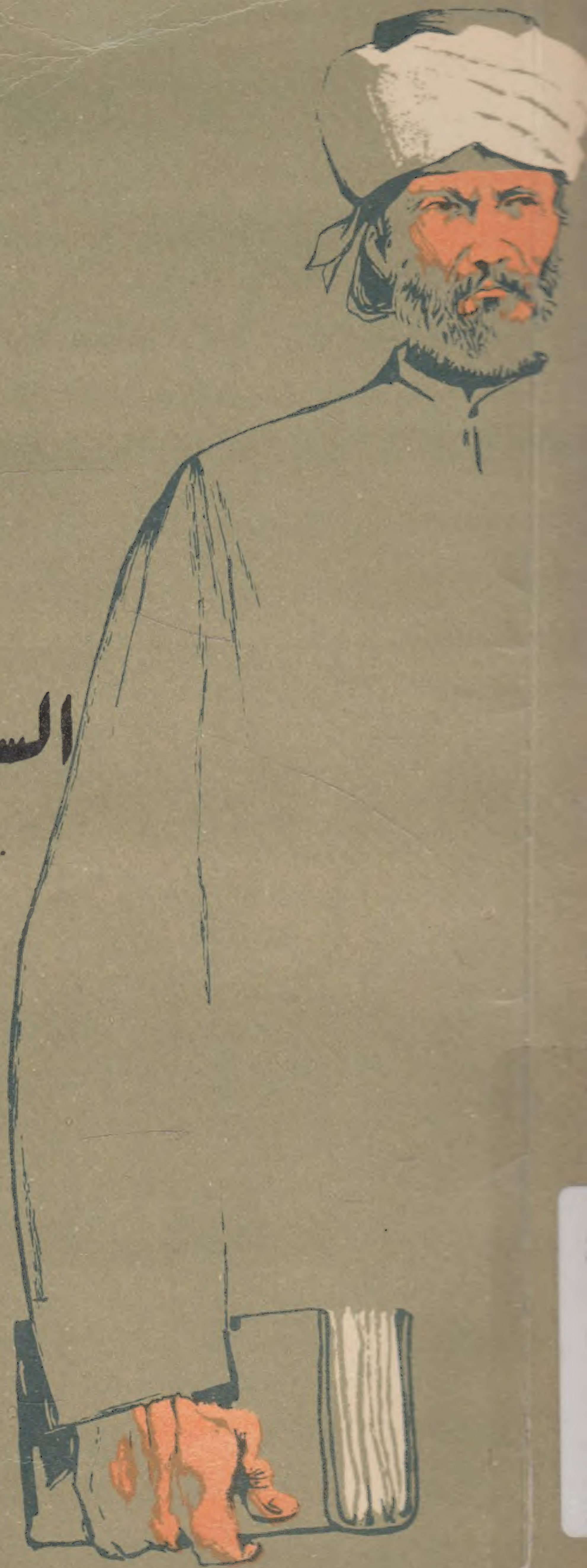


مذاهب وشخصيات

نابغة الشرق السيد جمال الدين الأفغاني

تأليف محمد سعيد عبد المجيد
(سعيد الأفغاني)



مذاهب وتخصيات

نابغة الشرق

السيد جمال الدين الأفغانى

تأليف

محمد سعيد عبد المجيد (معيد انقضى)

من أحب الحياة فليمت في سبيل حياة أمته
ما مات أحد في حب أمته الا واحيته
« جمال الدين الأفغاني »

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمد الله ونستعينه ، ونصلي على سيدنا محمد وآله واصحابه
والتابعين الأبرار ، الذين نهجوا منهجه القويم ، وأيدوا المسلمين
بالهداية الى الصراط المستقيم ، أما بعد :

فان السبب الذي بعثني أن أكتب عن السيد ((جمال الدين
الأفغانى)) كلمة ، هو أن السيد الأفغانى كان قد وقف حياته لخدمة
الاسلام والبشر ، وان عزمه وارادته فى هذه السبيل وصلا الى حد
لا يخشى معه فى ما عزم عليه لومة لائم ، ولا تؤثر فى عزمه وتصميمه
الأعراض المادية والتكاليف الدنيوية ، شيئا ، هو أينما كان يؤيد الحق ،
ويكافح الاستعمار والاستغلال بجميع ألوانه ، لأجل الحرية والسلام ،
وكان فكره وثقافته ، وعمله ، وسياحته ، ومحاضراته وندواته ،
ونشراته ، وكتبه ، وصداقته ، وعداوته ، ودراسته ، وتعليمه ،
وتحركاته ، وثوراته وسياسته ، وروابطه كلها لأجل أن يعالج الأمراض
الروحية والنفسية ، ويمحو الظلم من البشر عموما ، ومن الشرق
خصوصا ، وقد ثبت عنده أن العلاج الناجح لأدواء الفرد والمجتمع •
هو العمل بالتعليمات الاسلامية والدساتير القرآنية ، والارشادات
النبوية ، بضوء العقل والفكر الثاقب ، لا شك انه نابغة الشرق
وفيلسوف عصره وصاحب المسالك ، والمجاهدات الكثيرة ، وبحسن
خدمته اشتعلت الثورات الفكرية لآحياء كرامة الانسان رحمة الله عليه
وعلى أتباعه وأعوانه •



صورة للسيد جمال الدين أهدها الى الشيخ محمد عبده
وكتب عليها : « تذكرة للشيخ الفاضل محمد عبده يتذكر بها
ما حوته الصدور واستقرت عليه القلوب » .
سنة ١٨٨٥

من كتاب زعماء الاصلاح في العصر الحديث للأستاذ « أحمد أمين »

« جنسية السيد جمال الدين الأفغانى »

قد ثبت ولا ريب أن السيد « جمال الدين » هو أفغانى صميم من سادات « أسعد آباد » قرية « كندر » محافظة أفغانستان ، إذ أن السيد ذكر بلسانه مرارا أنه أفغانى صميم . وأنه أينما وصل وحيثما رحل يعتز بهاتين الصفتين « الحسينى » « الأفغانى » كما أنه قال مرة :

استوقفتنى الأفغان وهى أول أرض مس جسمى ترابها .

وقال أيضا : انى اضطرت لترك بلادى الأفغان مضطربة تتلاعب بها الأهواء والأغراض .

لكن مع هذا لا شك أنه أراد أعداء السيد « جمال الدين » أعنى أعداء الحرية والمصالح الاجتماعية أن يغشوا على الناس حوله ، فى حياته وبعد موته ، فقالوا ما قالوا فى حقه ... حتى فى جنسيته .

نعم : حينما وقع الخلاف بين السيد « جمال الدين » الأفغانى « وناصر الدين » شاه ايران ، بسبب ظلم ، « ناصر الدين » ، واستبداده ، وولائه للانجليز ، وبيعه منافع بلاده لهم ، كما أعطى شركة « ايجى » الانجليزية حق احتكار التبناك فى بلاده ، فثار عليه السيد ، وحررض « ميرزا محمد » حسن الشيرازى كبير المجتهدين فى ايران على أن يفتى بتحريم شرب التبناك ، ما دام فى يدى هذه الشركة ، وعندما صدرت هذه الفتوى امتنع الناس عن شرب التبناك ، وامتلثوا غيظا من عمل الشاه ، وأحاطوا به ليقتلوه ، أو يلغى هذا الاحتكار ، فاضطرت حكومة ايران الى الغائه مقابل نصف مليون جنيه ، وأيضا كان السيد « جمال الدين » يذم الشاه ، ويشير الناس عليه ، فعلى هذا كاد شاه ايران أن يتميز من

الغیظ علی السید، وأراد أن ینتقم منه، فقال بلسان كبار موظفی حکومتہ: ان جمال الدین، ایرانی، لکی یجره الی بلاد ایران فیبطش به . کما قال الأستاذ « عبد القادر المغربی » فی کتابه المسمى بـ « جمال الدین الأفغانی » ما یلی نصه : قامت ضجة حول أفغانیة السید « جمال الدین » وایرانیته، علی أثر ما نشره « محمد حسن خان » الملقب باعتماد الدولة وهو من كبار موظفی حکومت ایران، المقربین لیدی ملیکها « ناصر الدین » شاه، فی کتابه « المآثر والآثار » فقد ذکر فیہ : « ان جمال الدین من قرية أسد آباد » من أعمال ایران وازاء هذه الضجة حدثنی أحد وجهاء « طرابلس الشام »، وهو ممتعض لما سمع منکر ما قیل فی نسبة « جمال الدین » الی ایران فقال : ان جعل السید من أبناء ایران، أو من موالید ایران قرية افترتها علیه حکومت « ناصر الدین » شاه، بقصد الانتقام منه . وأن الخبر الیقین هو فیما حدثنی به صدیقی الشیخ « عبد الحمید الرافعی »، قاضی البصرة فی أثناء نزول الأفغانی فیها مبعدا من ایران . فهو اذن شاهد عیان، قال القاضی :

كان والی البصرة - یوم قدوم « جمال الدین » الیها - « هدايت باشا » وهو رجل جلیل القدر، كثير التقوی والصلاح، فاحتفل الوالی وأركان الولاية بالسید، وأكرموا نزله، واذا ببرقية « شفرة » وردت الی الوالی من المابین (١)، یسألونه فیها عن نشأة « جمال الدین » وأصله، وفصله، وهل هو ایرانی کما یزعم الشاه ؟ قال القاضی : فاستحسن الوالی أن یوسطنی لیدی « جمال الدین »، فأسأله عن أصله، ومبتدا خبره، من حیث لا أجعله یشعر بقصدی ووساطتی . ولكن ذکاء « جمال الدین » الخارق جعله یتنبه الی الغرض من سؤالی فبادرنی بقوله : انه أفغانی الاصل والفرع وأنه لا علاقة لجنسیته بایران، ولا تابعیة، وأن الشاه یشیع ذلك عنه ارادة اجتراره الی ایران، ثم الانتقام منه، والتنکیل به . قال « جمال الدین » : انه (فی سنة ١٢٨٧ هـ - ١٨٧٠ م) عیننی « صفوت باشا » وزیر المعارف اذ ذاك عضوا فی مجلس المعارف الأعلى (الترقی) بنساء علی کونی (أفغانی الجنس) ثم قال :

(١) المابین كلمة تطلق علی الحجره التي لها بابان - باب الی جهة الحرم وباب الی جهة الخدم ثم اختصت بالسرای السلطانیة فی تركيا .

فليسألوا الوزارة المشار إليها ان أحبوا . (١) ويظهر مما تقدم أن السيد أفغانى ، كما يقر هو نفسه . وما قيل فى حقه انه ايرانى لا أصل له الا الافتراء ، ويؤيد جنسية السيد أنه أفغانى ماكتبته «جريدة الوطن» الصادرة فى الآستانة بتاريخ ٣٠ أغسطس سنة ١٩٢٤ م باللغة التركية جاء فيها « رائد اليقظة الأفغانية الحديثة وداعية الشرق الشيخ جمال الدين الأفغانى » وكتب أيضا : وقد ولد الشيخ « جمال الدين » فى أفغانستان سنة ١٢٥٤ هجرية ، وينسب الى جماعة السادات المشهورين فى « كنىر » .

وأیضا جاء فى كتاب « تاريخ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده » تأليف السيد محمد رشيد رضا نقلا عن الامام محمد عبده تحت عنوان (السيد جمال الدين الأفغانى) هذا هو السيد «جمال الدين» ابن السيد «صفدر» من بيت عظيم فى بلاد الافغان، ينمى نسبه الى السيد على الترمذى المحدث المشهور ، ويرتقى الى سيدنا « الحسين » بن على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، ولآل هذا البيت عشيرة وافرة العدد ، تقيم فى خطة « كنىر » من أعمال « كابل » تبعد عنها مسيرة ثلاثة أيام ، ولهذه العشيرة منزلة عليّة فى قلوب الافغانين ، يجلونها رعاية لحرمة نسبها الشريف، وكانت لها سيادة على جزء من الاراضى الأفغانية ، تستقل بالحكم فيه ، وانما سلب الامارة من أيديها « دوست محمد خان » جد الأمير الحالى (٢) وأمر بنقل والد السيد « جمال الدين » وبعض أعماله الى مدينة « كابل » وولد السيد « جمال الدين » فى قرية (أسعد آباد) من قرى « كنىر » سنة ١٢٥٤ هجرية وانتقل بانتقال أبيه الى مدينة « كابل » . (٣)

وجاء فى ص (٣٨-٣٩) من التاريخ المذكور نقلا عن أديب اسحق الكاتب المشهور وكان من تلاميذ السيد « جمال الدين » وأفراد حزبه فى زمنه أنه كتب فى حقه : « هو الحكيم الخطيب البالغ الحجة النبيلة ، المتوقد الذكاء ، الجريء الذى لا يعرف الخوف ، النسيب ، السيد « جمال الدين » الأفغانى ، ولد بـ « كابل » فى بيت شرف وعلم ، وعمره الآن نحو ٤٥ عاما » .

وجاء فى ص (٤٢) من التاريخ المذكور تحت عنوان (ترجمة سليم بك العنحورى للسيد « جمال الدين ») مايتى :

(١) ص (٨٤ - ٨٦) من كتاب : « عبد القادر المغربى » .

(٢) يعنى به المرحوم الامير عبد الرحمن لأن الترجمة كتبت وهو حى .

(٣) ص (٢٧) من كتاب (تاريخ الامام محمد عبده) لرشيد رضا .

« وأما الأفغانى فهو السيد « جمال الدين » العالم الفيلسوف الشهير ، نبغ فى بلاد الأفغان » وبعد هذا ذكر قليلا من تفاصيل ما وقع للسيد « جمال الدين » الأفغانى فى وطنه « أفغانستان » وبعض أحواله فى سائر البلاد .

من كل هذه الأسانيد وكثير من أسانيد أخرى ثبت أن السيد « جمال الدين » لاشك أنه أفغانى الجنسية ، وأن كل تلاميذه وأنصاره ومخلصيه ومعارفه يتفقون فى أن السيد « جمال الدين » من سادات أفغانستان ، ولا يمكن أن يوجد واحد فى زمانه ولا ممن يعتمد على قولهم بعد موته من قال : ان السيد « جمال الدين » إيرانى وليس بأفغانى .

لكن مع هذا قد خرج على الناس أخيرا من لم يستح من الزيف فسمى نفسه « ميرزا لطف الله خان » وزعم أنه ابن شقيقة السيد « جمال الدين » ، ونشر كتيباً سده الكذب ، ولحمته التضليل ، قال فيه : ان السيد « جمال الدين » لم يكن أفغانيا ، وإنما كان إيرانيا شيعيا .

وكتب صاحب كتاب (صبيحة « جمال الدين » الأفغانى) (١) فى الرد على « لطف الله خان » وأذنبه مائنه : وقد كان لنا ألا نعرض لهذا الكتيب الذى لا يستحق المداد الذى كتب به ، ولا نعى بهذه التلفيقات التى سودت صحائفه ، ولكننا رأينا أن نكتب هذه السطور الموجزة لنفضح هديانه ، وترهاته ، ولنمتلخ بعد ذلك عرق الشك ، الذى قد يخامر نفوس بعض من يقرءون مفتريات هذا الكذاب الأشر ، ويطلعون على سخافات وترهاته .

ثم ذكر فى كتابه المذكور تحت عنوان (لماذا انغرس بغض الانجليز فى قلب السيد) ، ما حاصله أن محاولات استعمارية للانجليز فى أخذ أفغانستان عندما حاولوا أن يسلبوا استقلالها كما سلبوا استقلال غيرها من البلاد ، وهى الحرب التى صرع فيها من جيش الانجليز عشرات الألوف مع قائدهم الأكبر « مكناتن » ومعه الملك الحائن « شاه شجاع » . وذلك فى الميادين الممتدة من « كابل » الى « كندر » كل ذلك أثار غضب السيد على الانجليز ومما زاده ضغنا على هذه الدولة الباغية ، ما وقع من مطامعها فى الشرق وفى الوطن الاسلامى .

ثم قال : لهذا كله آلى على نفسه أن يقف حياته على محاربة الانجليز والعمل ما استطاع على تنكيس راياتهم حيثما وجسدت في بلاد الشرق كافة . كما قرر ذلك تلميذه الأكبر الأستاذ الامام محمد عبده . ثم قال في ص (١٨ - ٢١) من كتابه صيحة « جمال الدين » الأفغاني : ويظهر أن « ميرزا لطف الله خان » له علاقة بالانجليز الذين يريدون أن يسيثوا الى سمعة السيد بعد وفاته ، كما حاربوه في حياته فحثوا « ميرزا لطف الله » على أن يجعل من السيد شخصا مرأيا منافقا دساسا ، يقول عند الايرانيين : أنا ايراني وشيعة ، ويقول عند أهل السنة أعني « الأفغانيين » والعرب ، والترك ، انى أفغاني وسني ، وكأنه يلعب دورا ذا وجهين ، مثل ما تلعبه الجواسيس اليهودية ، والاستعمارية .

تعالى الله عما يقول المفترون في أوليائه .



ولكن السيد الذي كان رأس ماله الصدق والشجاعة والصراحة ، برىء من هذه الصفات التي يحاول الخونة على نواميس الاسلام أن ينسبوها الى السيد الصميم الصريح الشجاع . يقول أمثال « ميرزا لطف الله » : ان السيد « جمال الدين » الايراني الشيعي كان يلبس قناع الأفغاني والسني زورا وبهتانا كي يتمكن من أن يجعل من ايران مركزا رئيسيا للعالم الاسلامي .

وهل يصدق العقل أن الانسان يمكن أن يرفع شأن شعبه الى أوج العزة في حين أنه ينكر ويخفى شعبيته ، ويخاف أن ينسب نفسه الى دينه وشعبه ؟ .

كان السيد « جمال الدين » رحمه الله زعيما كبيرا للعالم الاسلامي والشرق ، والغرب ، والعجم ، والأفغان ، وايران ، والترك ، والهند الذين كلهم اخوانه ، مع أنه كان أفغانيا ، كما قال واعترف به في مواضع عديدة ، وصرح بذلك تلامذته وأتباعه كافة وحتى أمثال « ميرزا لطف الله » لا ينكرون أن السيد « أقر طول حياته بأنه أفغاني وسني » .

ولكنهم يقولون : ان السيد أقر بهذا القول تقية ونفاقا ، وأن الزعيم المسلم الكبير كان مرأيا منافقا كذابا ، وذلك كي يفتكوا به ويتهموه بالكذب والافتراء بعد موته ، والعياذ بالله !

واذا كانت هذه الطريقة المعوجة التي سلكها من كان قبل « ميرزا لطف الله » قد طمست معالمها ، وزالت آثارها ، ومن سنوها على كثرتهم

وقوة بأسهم ، لم يستطيعوا أن ينالوا من هذه العظمة الخالدة نيلا ،
وباءوا جميعا بالخيبة ، وغضب من الله ، فترى ماذا يصنع مثل هذا
القزم الذى ظهر أخيرا بسخافاتة ؟

ومن ضلالهم انهم اختلقوا أسبابا لارتداء السيد « جمال الدين »
برداء السنية ، وكلها واهية لا تستحق الرد عليها ، أو الالتفات اليها ،
فقد قالوا انه فعل ذلك لكى يتسنى الزعامة فى الجامع الازهر ، ويكفى
لدحض هذا أن السيد « جمال الدين » على طول اقامته بمصر ، لم يدخل
الازهر الا زائرا ، ولم يلق فيه درسا واحدا .

ثم ذكر : ما حاصله أن السيد « جمال الدين » لو كان ايرانيا
وشييعيا ، فلم تخلى عنه الائمة الايرانيون ، يوم أن أرسله السلطان الغاشم
ناصر الدين شاه مكبلا بالسلاسل والاغلال ، يجره الجنود وهو عليل ،
من قرية الى قرية ، بقصد اذلاله والنيل من كرامته ؟ مع انه فوق ذلك
حسينى من السلالة النبوية .

ولم لم يسلمه السلطان عبد الحميد فيمن سلمهم من الايرانيين
الذين لجئوا الى بلاد تركيا ، وكان قد طلب منه ذلك لكى يجره الى ايران
لينتقموا منه . اذا كان ايرانيا كما تزعم ؟

ثم تساءل صاحب كتاب « صبيحة جمال الدين الافغانى » عما هو
أصل هذه النزعة الخبيثة ، وما سبب هذه الفرية اللثيمة ، التى اختفى
قرنها فى التاريخ الماضى ، ثم عادت الى الظهور فى هذه الايام ؟ بما حاصله :
وسبب أصل هذه النزعة الخبيثة فى الماضى هو عداوة السيد لشاه ايران ،
لولائه للانجليز . وأما انبعاث هذا الافك فى العصر الحاضر ومنشؤه أن
أعداء وحدة الصف الاسلامى والعربى بل والشرقى يعملون هذا لكى
يشيروا حول الشخصية التى أنارت الآفاق غبارا من الشك ، لعلمهم ينالون
من عظمتهم ، أو يفضون من كرامتهم ، وذلك بأنهم قد رأوا أن هذه الوثبة
الكبرى التى حطمت القيود انما هى ولا ريب من غرس يمينه وأن البذور
التي ألقاها بيده فى أرض الشرق جميعها ، وتعهدها طوال حياته ، وبذل
ما بذل لانمائها ، حتى قضى شهيدا فى سبيلها ، قد أثمرت ثمراتها
اليابنة ، فاستقلت الهند ، ومصر وغيرها ، من الأمم الشرقية ، ونكس
العلم البريطانى فى بقاع الشرق كافة ، وقضى القضاء الأخير على الاستعمار
المقوت ، فلم يعد له فى الحياة أثر . وليس ببعيد أن يكون للانجليز يد
خفية فى هذه المكيدة ، لأن نار حقدهم على السيد لاتزال تضطرم بين

جوانحهم ، فهم لا يفتأون يكيّدون له لينالوا منه ، ولكن السيد في مكانه من العظمة ومقامه من السمو لأرفع من أن يغشى حذاءه الطاهر شيء من مثل هذا الغبار القذر .

«وانى لنباح الكلاب أن يبلغ السحاب ؟» ثم ذكر محمود أبو ريه في كتابه : « ان هناك أربع حقائق في تاريخ السيد جمال الدين الافغانى راسخة رسوخ الجبال ، ولا يستطيع أحد مهما كان أن ينال منها أى منال :

الأولى : انه خلاصة العترة النبوية الشريفة .

الثانية : انه سنى أفغانى صريح .

الثالثة : أن أسرته العظيمة عريقة في المجد والكرم والشجاعة في بلاد الافغان ، ولها سلطان هناك عظيم .

الرابعة : انه بلا خلاف موقظ الشرق ، وباعث نهضته في العصر الحديث . ولم يقم أحد بمثل دعوته ، ولا جاهد مثل جهاده ، حتى قال في حقه الاستاذ الجليل الشيخ مصطفى عبد الرازق : «حسب جمال الدين من عظمة ومجد انه في تاريخ الشرق الحديث أول داع الى الحرية ، وأول شهيد في سبيل الحرية » هذه الحقائق الأربع ثابتة للسيد جمال الدين الافغانى ، ولا يمتري فيها الا جهول ، أو حقود ، أو عدو لوحدة العرب والشرق وقد أجمع عليها كل الذين كتبوا عنه من الشرق أو من الغرب ، رغم أنف كل من يكابر فيها ، وستخلد هذه الحقائق على مدى الزمن كله، ولو نشروا كل يوم ألف كتاب وكتاب .

ثم ذكر محمود أبو ريه : « وقد أصبح من المعلوم بالضرورة لدى الناس كافة في مشارق الارض ، ومغاربها ، أن كلمة «جمال الدين» اذا أطلقت في أى زمان أو مكان فانها لا تنصرف الا اليه ، ولو ذكر اسم حكيمنا (جمال الدين) مجردا لما فهم الناس منه الا أنه الافغانى » .

وحسبنا في ذلك المقام (مقام جنسية جمال الدين) أن نطالع كتابه المسمى « تنمة البيان في تاريخ الافغان » ، فهذا الكتاب أكبر دليل على أفغانيته ، لأنه فضلا عن علمه وسياسته وكياسته ، يسجل أحاسيسه وعواطفه الافغانية ، في ذلك الكتاب .

وحينما يذكر عدوه الألد « الوزير محمد رفيق لودى » ، الذى كان مخالفا لاصلاحات السيد ، ومعارضاً للائحته المعروفة في تشكيل الوزارة

الافغانية ، وفصل القوى المقننة والقضائية عن القوى التنفيذية ، والذي وشى بالسيد عند الامير « شير علي خان » ، والذي كان يساعد في اخراج السيد من وطنه . ترون أن السيد يكيل له الخيانة والغدر مصحوبان بغضبه واستنكاره الشخصي له ، ولا غرو فان السيد كان أفغانيا والافغانيون كما يقول السيد في ذلك الكتاب « يحفظون الحق ، ولا سيما اذا كان في سبيل الحق والفضيلة » .

بعد كل هذا أقول أنا محمد سعيد عبد المجيد الافغاني من ولاية « ننكرهار » من نفس المنطقة التي ولد فيها جمال الدين الافغاني ، لما قرأت مفتريات « ميرزا لطف الله خان » وزملائه عملاء الاستعمار والاستغلال ، تحيرت بنسج أكاذيبهم ، فأخذت القلم لأرد شكوكهم ، فجمعت ما كتبت من الاسانيد المذكورة والتحقيقات ، والآن أريد أن أرد ما بقي من أكاذيبهم فيما يأتي :

١ - انهم كتبوا أن والد السيد جمال الدين « صفدر » هو من أسماء الايرانيين ، ولا يوجد من يسمى بهذا الاسم في أفغانستان .

أقول في الجواب : لا حاجة الى التأييدات انه يوجد رجال بهذا الاسم ، في ولاية « ننكرهار » من ولايات أفغانستان ، حتى أعرف الآن أيضا أن واحدا من سادات « كئر » اسمه « صفدر » ، وأيضا لا أنسى حينما كنت أنا مديرا لدار العلوم الاسلامية المسماة بـ « نجم المدارس » ، الواقعة في ولاية « ننكرهار » كان عندي واحد يعمل سكرتيرا من منطقة « جبرهار » اسمه « صفدر » فان كان لهم شك فيما قلت فليتفضلوا الى ولاية « كئر » ومنطقة « جبرهار » لكي يعرفوا صدق ما قلت .

٢ - كتبوا أن اسم الخادم الخاص للسيد جمال الدين كان يدعى « أبو تراب » وهو من ألقاب علي كرم الله وجهه ، ومن أسماء الايرانيين .

أقول في الجواب : يوجد بهذا الاسم في أفغانستان أسماء كثيرة . وثانيا هذه الكلمة عربية ، وليست بايرانية ، وكما أن الايرانيين يحبون عليا كرم الله وجهه ، لا شك أن الافغانيين أيضا يحبون عليا كرم الله وجهه ولكن لا شك أن الافغانيين لا يغالون في حبه « كرم الله وجهه » خارج الحدود .

٣ - يقولون ان اللغة الفارسية التي يكتب بها جمال الدين كانت تشبه اللغة الايرانية .

أقول : ان صح ما قالوا فان السيد كان يتكلم باللغة الافغانية
والفارسية والهندية والعربية والفرنسية والانجليزية والروسية .

وكان من ذكائه يتكلم بالعربية كأحد أبنائها لكن ما قال أحد من
العرب انه عربى الجنسية ، مع ان السيد يحب العرب وخدم مصر أكثر
مما خدم ايران .

وعلى تأكيد ما قلت فى جنسية السيد جمال الدين الافغانى عليك
بما يأتى :

١ - يقول المستر « بلنت » فى كتابه التاريخ السرى ص ٧٧ : السيد
جمال الدين الافغانى لم تتجاوز تجاربه العالمية قبل حضوره الى مصر
دائرة آسيا الوسطى وهو أفغانى المولد ، وتلقى تربيته الدينية فى
« بخارى » ويقول « شارلز آدمس » فى كتابه « الاسلام والتجديد » ولد
السيد جمال فى « اسعد آباد » بالقرب من (كابل) بـافغانستان .

ويقول جرجى زيدان فى كتابه مشاهير الشرق ج ٢ ص ٥٢ :
« السيد جمال الدين ابن السيد صفدر » ولد ببیت شرف وعلم بقرية
اسعد آباد من قرى « كتر » من أعمال كابل « ببلاد الأفغان » .
وقال « عبد الرحمن الرافعى » فى تاريخ الحركة القومية عصر
اسماعيل ج ٢ :

« ولد السيد فى « اسعد آباد » احدى القرى التابعة لـ « كتر »
من أعمال « كابل » عاصمة الأفغان » .

وقال السيد رشيد رضا فى كتابه (تاريخ الامام) ج ١ ص ٢٧ :
« ولد السيد جمال الدين فى قرية «اسعد آباد» من قرى « كتر »
وانتقل بانتقال أبيه الى مدينة «كابل» .

لا شك اذن أن السيد جمال الدين الأفغانى ، وقد ولد فى ولاية
«ننكرهار» محافظة «كتر» وأن سادات «كتر» لهم شهرة وكثرة لا يستطيع
أحد انكار شيء منها ، حتى أنه فى العصر الحاضر يوجد لسادات «كتر»
هناك احفاد وأراض وقرى كثيرة لهم ، وأن أسرة جمال الدين الافغانى
معروفة بالفضل والكفاح ، وأن ابن عم السيد جمال الدين (حسين
باشا) كان من أكبر الشخصيات فى بلاد الأفغان ، وكان حسين باشا
مريدا للمجاهد الكبير المرحوم نجم الدين أخوند زاده صاحب

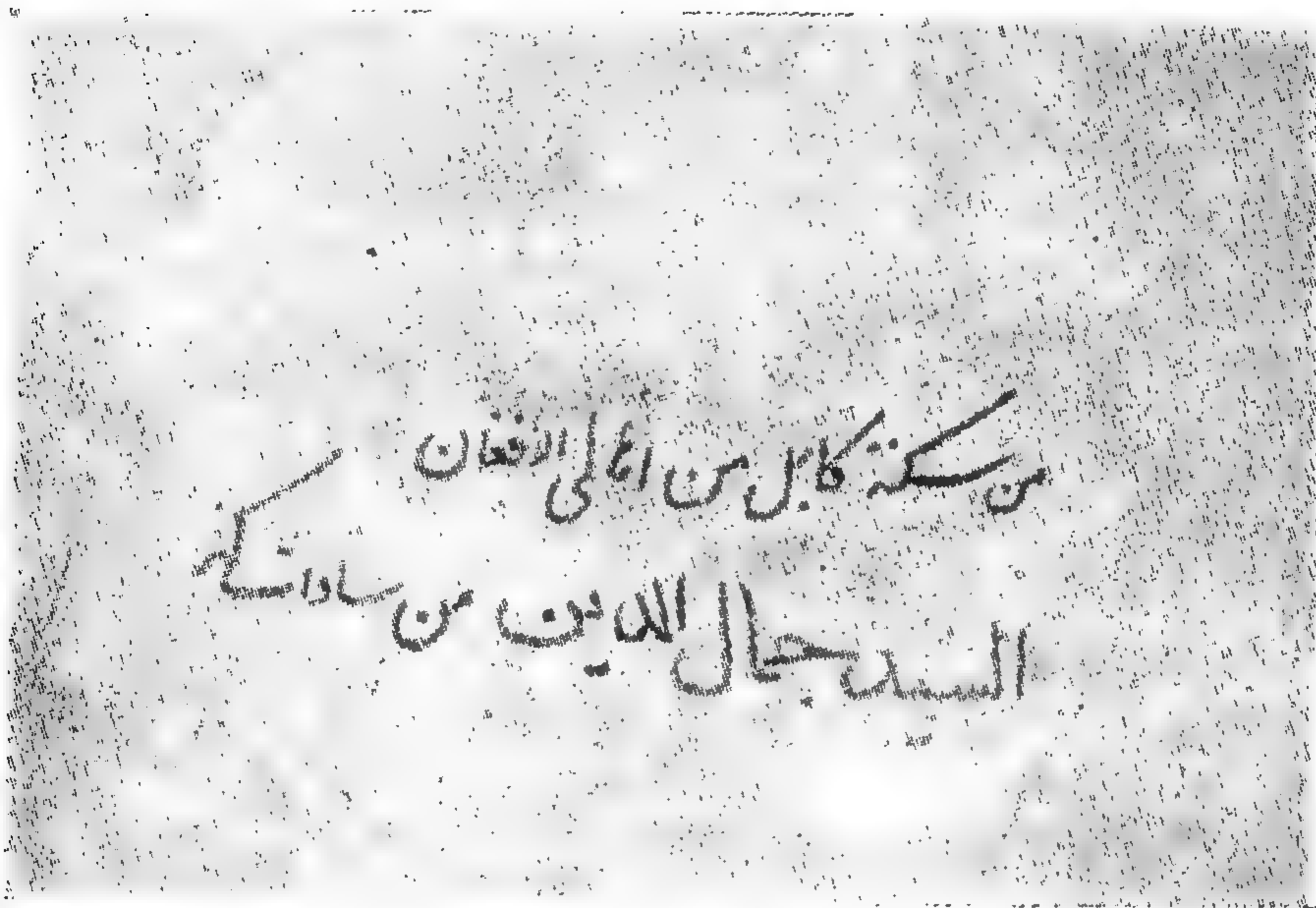
«هده» . ولهم وللمجاهد الكبير نجم الدين عليه رحمة الله قصص في تاريخ أفغانستان ومجاهدات ضد الانجليز لا تنسى ، ومن أبناء عمومته المرحومين «السيد عباس باشا وبابا باشا» ولهما أولاد وذرية وللسادات في محافظة « كتر » كثرة مما لا يحصى ، يقولون وكان بعض سادات كتر في عصر السيد جمال الدين يلومون السيد لأنه ترك الجهاد بالسيف الذي نشأ عليه جدوده ، وأخذ يجاهد باللسان والقلم ، وأنه يحارب الكفار بالحبر ، أما هم فيحاربونهم بالدم .

سمعت في محافظة « كتر » أن أحد الرجال يحكى عن أبيه أن والد السيد جمال الدين حينما نقل الى عاصمة أفغانستان «كابل» كان السيد صغيرا وأن الناس اجتمعوا كثيرا حتى خافت الحكومة من وقوع حادث وأن ذلك اليوم كان باردا وأمطرت السماء في الليل مطرا شديدا ، وفي « كابل » عاصمة أفغانستان سمعت من رجل مسن في منطقة « لاهوري دروازه » ان والد السيد جمال الدين حينما انتقل الى كابل كان يسكن مع أولاده في منطقة (لاهوري دروازه) .

وفوق كل هذا قد ثبتت جنسية السيد جمال الدين بأنه أفغانى حينما نقل وفاته من تركيا الى « كابل » عاصمة أفغانستان ، ثم دفن في منطقة (على آباد) وبني عليه بناء شامخ .

(جمال الدين الافغانى)

١ - من سكان « كابل » ومن اهالى الأفغان السيد جمال الدين من سادات « كتر »



٢ - شهر المحرم سنة ١٢٨٧ هـ

جئت الى مصر المحروسة (القاهرة)
واخترت السكنى بجوار سيدنا الحسين
واشتغلت بالتعليم .

جمال الدين الحسينى

(امضاء)

٣ - شهر المحرم سنة ١٢٩٢ هـ

اشتغلت بتعليم الفلسفة .

جمال الدين الحسينى (١)

(امضاء)

يثبت من الصورة الاولى من هذه الصور التى كتب أصلها بقلم السيد جمال الدين الحسينى ، بأن السيد من كابل عاصمة أفغانستان ومن سادات « كتر » . وفيها رد قاطع على أولئك المتفيهقين الذين يحاولون أن يشوهوا جمال الحقيقة لأغراض ضيقة .
« سيد افغانى »

(١) من مجموعة لمخطوطات السيد جمال الدين .

طبع دانشگاه «طهران» .

« العصر الذي ولد ونشأ فيه السيد جمال الدين »

عصر ولادته : كان عصر ولادته عصر اضطرابات القبائل ، واختلافات الملوك في أفغانستان . حتى صارت كل قبيلة من القبائل الأفغانية بوساطة ما بذرت أيادي الاستعمار الانجليزى من بذور الشقاق في الأقوام ، والطوائف الأفغانية ، يختلفون ، ويجادلون فيما بينهم بحيث لا مبرر لهذا الاختلاف والجدال الا الاطماع الفردية ، والاغراض الشخصية ، من حصول المال البخس ، والسلطة السوء .

كان حال القبائل الأفغانية في تلك الحقبة كحال الاعراب في الجاهلية ، يتفاخرون بالأنساب والمظالم ، ولا يبالون بسفك دماء اخوانهم ، بل يحسبونه نوعاً من الشجاعة ، ومن ناحية أخرى كانت حال الامم الشرقية كحال المريض ، الذى لا يفهم مرضه ، ولا يرجع الى الطبيب لكى يعالجه ، وحال أكثر ولاتهم مع الأسف كحال من شرب الخمر والحشيش لا يفكر في مهام الامور ولا يدري ما يقول ، كذلك هم لا يفكرون في ماضى الامة وحالها ومآلها ولا يلتفتون الى الاسباب والعلل التى أنزلت الحوادث السيئة ، على المسلمين ، والشرقيين وكان أهم أهدافهم التوصل الى النزعات المذنبه ، والاستراحات المهلكة ، كما كانوا يضيعون أوقاتهم الغالية فى اللعب ، وصيد الحيوانات البرية والبحرية ، حتى انهم يبحثون فى مجالسهم الرسمية - بدل الخطط الاجتماعية - خطط الألعاب الفاجرة ، لكن مع هذا يحبون أن يطلق الناس على فضائحهم وفجائعهم اسم السياسات الثاقبة ، والاعمال الحسنة .

عصر نشأته : يشهد تاريخ الشرق وتاريخ المسلمين أن فى عصر السيد جمال الدين كان ولاية أمور الشرق والمسلمين يخافون من كل حركة اصلاحية ، تتقدم بها الشعوب والامم لكى لا يقضى ذلك على اطلاق عنانهم ، وتصرفاتهم السيئة . وهكذا نشأ جمال الدين فى عصر الضغط وكانت حياته ممزوجة بتلاطم التكاليف والمشقات والبروقراطية السيئة ، كما أن « امير دوست محمد خان » قبل أن يبلغ جمال الدين سن الرشيد أصدر

الأوامر بنقل أبيه وأعمامه الى عاصمة كابل ، وضبط أموالهم ، وممتلكاتهم ،
وذلك خوفا من نفوذهم وقدرتهم في ولاية « نكرهار » .

وبعد أن بلغ السيد سن الرشده أخذ يدرّب نفسه على احتمال الآلام
والمصائب ، لكي يشق طريقه الى الامام ، وينجي أمة المسلمين وملة
الشرقيين بل الانسانية جمعاء من طوفان الدسائس الاستعمارية ، ومن
ضغط الأوهام والخرافات ، ويحاول تفكيك أيدي الناس ورقابهم من قيود
الظلم ، والاستغلال ، في هذا العصر المضطرب ، والظروف القاسية ، أعنى
عصر دسائس الاستعمار ، وعصر الاوهام ، والانحرافات ، وعصر الظلم
والاستغلال ، الذى ولد جمال الدين ونشأ فيه فلا بد أن تؤثر هذه
الاضغاع على حياته وعلى طبيعته ، وقريحته ، ونهجه ، وخطته ،
أشد التأثير . ويؤدى الى أن يركز نابغة الشرق السيد جمال الدين
الافغانى جميع أفكاره فيما تحتاج اليه الامم أشد الاحتياج .

« حياة السيد جمال الدين الأفغانى »

السيد جمال الدين ابن السيد «صفدر» ولد فى قرية أسعد اباد من «كنر» من ولاية « ننكرهار » من أعمال « كابل » عاصمة أفغانستان أى بالطرف الشرقى من «كابل» كانت ولادته فى سنة ١٢٥٤ هجرية - ١٨٣٩ ميلادية ، فلما نقل أبوه الى كابل ، صحبه معه ، وهناك بدأ دراسته بتحصيل العلوم العربية ، من نحو ، وصرف ، ومعان ، وبيان ، وتاريخ ، ثم درس علوم الشريعة ، من تفسير ، وحديث ، وفقه ، وأصول ، وكلام ، وتصوف ، وأيضا درس العلوم العقلية المعروفة فى عصره ، من المنطق ، والفلسفة النظرية والعملية ، ويقال انه درس العلوم الرياضية ، والفلك ، وبعض نظريات فى الطب والتشريح .

« سفر السيد الى الهند لأجل التحصيل »

سافر السيد الى بلاد الهند ، ومكث فيها سنة وعدة أشهر ، وفى أثناء تلك الإقامة درس العلوم الرياضية ، وفقا للمنهج الاوروبى الحديث ثم عاد الى وطنه .

« سفر السيد الى الحجاز »

ولما عاد السيد الى بلاده افغانستان ، فكر فى أداء فريضة الحج ، فاتحه نحو الحجاز فى سنة ١٢٧٣ هجرية ١٨٥٧ ميلادية ، وفى هذه المرحلة التى طالت نحو من عام زار أكثر بلاد الاسلام فى الشرق .

« عودة السيد الى افغانستان ودخوله فى سلك وظائف الحكومة »

عاد الى كابل فى سنة ١٢٧٤ هـ ، ودخل سلك الوظائف الحكومية فى أيام الأمير « دوست محمد خان » وقد صحب هذا الأمير فى غزوة

ل « هرات » التي كان يريد الامير فتحها، وضمها الى ملكه ، لكن مات الامير في أثناء حصار المدينة عام ١٨٦٤ ميلادية ، وجيوشه لم تنصرف عنها لموته ، بل استمر الجهاد حتى سلمت بعد مشقة ، وبعد موت الامير « دوست محمد خان » انتقلت الامارة الى ابنه « شير علي خان » وفي أيامه وقع شيء من الفتن ، والحروب الداخلية ، في أفغانستان ، وأرادت انجلترا التفرقة بين الامير وأهله ، لكي تلحق أفغانستان بمستعمراتها الهندية ، لأجل هذا اشتد الخلاف بين الامير « شير علي خان » واخوانه ، حتى أن السيد « جمال الدين » التحق مع « محمد أعظم خان » ودخل محمد أعظم خان العاصمة « كابل » ، وأطلق سراح أخيه « محمد أفضل خان » ، الذي كان سجيناً في « كابل » ، ونادى به أميراً على أفغانستان ، لكن هذا الامير مات بعد عام ، وولى أمور الناس أخوه « محمد أعظم خان » ، وارتفع شأن « جمال الدين » ، حتى أصبح بمنزلة وزيره الاول ، وناصحه الامين ، ويقال انه لزم الامير الجديد من قبل ، ومن بعد تسع سنوات كلها جهاد وصراع . وبعد مدة بدأت الحرب من جديد ، وكانت تلك هي الفرصة التي تترقبها انجلترا لكي تتدخل وتؤجج نار الفتنة ، مستعينة على ذلك بكل وسيلة ، وأهمها الخيانة عن طريق الرشوة ، فوزعت أموالاً لا حصر لها على رؤساء القبائل ، فانتزع الملك من « محمد أعظم » الذي فر الى ايران ، حيث أدركته المنية بعد عدة أشهر ، في مدينة « نيسابور » . وانتهت الحرب بهذه الهزيمة لفريق « جمال الدين » في سنة ١٢٨٥ هجرية - ١٨٦٩ ميلادية أما السيد « جمال الدين » فأبى أن يفر ، ولم يجرؤ الامير « شير علي خان » أن يمد اليه يده بسوء ، لمكانته الدينية ، وانتسابه الى آل البيت ، ومع هذا لم يكن السيد « جمال الدين » مطمئناً ، ولا سيما بعد أن شرع الانجليز يجنون ثمرة تدخلهم ، وكان السيد « جمال الدين » يحس ذلك ، لكنه لا يستطيع أن يفعل شيئاً ، وعندئذ لم يجد مفراً من التفكير في مغادرته الوطن الاصل « أفغانستان » ، الذي كان السيد « جمال الدين » يقول : في حق أرض الأفغان : « هي أول أرض مس جسمي ترابها » .

« خروج السيد من أفغانستان وذهابه الى الهند مرة ثانية ومجاهداته لحرية الهنود »

اضطر السيد جمال الدين الأفغاني أن يستأذن في الخروج للحج ، فأذن له الامير ، وكان خروجه من أفغانستان في عام ١٢٨٥ هجرية ، فاتجه الى الهند للمرة الثانية ، ولما وصل اليها ، كان الانجليز يخشون

أن يثير الهنود عليهم ، ولذا سألوهم كم مدة يريد قضاءها في الهند ؟ فقال : شهرين . فلما رأوا عظيم تأثيره في الهند ، الذين واصلوا لقاءه ، طلبوا منه أن يغادر البلاد ، مع انه لم يقيم في الهند أكثر من شهر واحد ، وهو في هذه الفترة يعير الهنود بجبنهم ، وتخاذلهم ، وسكوتهم على الضيم ، وقبولهم الاستعمار الانجليزى ، وهم ملايين من البشر ، ولو كانوا ملايين من الذباب لكاد طنينهم يصم آذان بريطانيا ، ويقال ان الافغانى ما كاد يفرغ من كلامه حتى تسابقت الدموع الى عيون السامعين ، فقال لهم « اعلموا أن البكاء للنساء » ، « والسلطان محمود الغزنوى » . ما أتى الهند باكيا ، بل شاكيا السلاح ، ولا حياة لقوم لا يستقبلون الموت في سبيل الاستقلال بثغر باسم .

« خروج السيد من الهند

وسفره الى مصر واقامته

في القاهرة أربعين يوما

وما حدث له في هذه

المرّة »

وأيا ما كان فقد خرج السيد الأفغانى من الهند في سفينة سارت به على طول سواحل الهند ، حتى غادرتها ، واتجهت به الى مدينة السويس ، فجاءها في أواخر سنة ١٢٨٦ هجرية ، ثم اتجه الى القاهرة ، فأقام فيها نحو من أربعين يوما ، وفي هذه الفترة القصيرة لقيه الشيخ « محمد عبده » لأول مرة ، عن طريق بعض الطلبة من الشوام ، فكان هذا اللقاء بدء العلاقة بين الاستاذ وتلميذه الاكبر ، وقد قال الشيخ « محمد عبده » : انى قد صاحبت ابتداء من شهر المحرم سنة ١٢٨٧ هجرية وأخذت ألقى عنه بعض العلوم الرياضية ، والحكمة « الفلسفية والكلامية » وجعلت أدعو الناس الى التلقى عنه ، وأخذ مشايخ الأزهر والجمهور من طلبته يتقولون عليه وعلينا الاقاول . بل ويزعمون أن تلقى تلك العلوم قد يفضى الى زعزعة العقائد . . ولكن الطلبة السوريين كانوا أكثر الناس تقديرا لفضله ، وأحرصهم على الاستفادة من علمه فخالطوه ومالوا اليه ، وطلبوا منه أن يشرح لهم بعض كتب في النحو .

« سفر السيد الى تركيا »

وما حدث له بازاء المسائل

السياسية «

ولما أحس « جمال الدين » العداوة من بعض شيوخ الأزهر ، آثر أن يدعهم فترك لهم القاهرة والقطر المصرى ، واتجه الى تركيا فى سنة ١٢٨٧ هـ ١٨٧٠ ميلادية .

يقول أحد تلاميذه وهو « اديب اسحق » : ان الأفغانى لما نزل الى الآستانة (١) من تركيا أقام بها فترة من الزمن فى مكان مجهول ، حتى اهتدى اليه أحد وزراء الدولة ، والسيد « رشيد رضا » يقول : انه استطاع أن يلتقى بالصدر الأعظم «على باشا» بعد وصوله بأيام قليلة، وكان السياسيون من الأتراك فى ذلك العهد يرون أن نجاة تركيا لن تكون الا عن طريق احياء « الجامعة الاسلامية » ، ولذا يعلم « على باشا » قدر أمثال « جمال الدين » ممن ينادون باتحاد المسلمين ، فى مختلف أقطار الأرض ، للوقوف فى وجه الاستعمار الغربى ، الا أن السيد « جمال الدين » ينادى بأن لا نجاة للمسلمين الا باتحادهم والعودة الى الأصول الدينية الأولى . وكان الصدر الأعظم «على باشا» يقول : ان ما يحتاج اليه المسلمون أشد الاحتياج ، هو ازدياد النعزة الدينية فقط ، وايا كان الأمر فقد رحب الأتراك بالسيد الأفغانى أحسن ترحيب ، وذلك بسبب أنهم أحسوا منه عداوته القوية للانجليز ، ورغبته الشديدة فى نهضة المسلمين ، وكان الصدر الأعظم قد خصص له وظيفة عالية ، وجعله عضوا فى مجلس المعارف ، وكانت سماحة السيد وزيه الأفغانى الوطنى سببا أوليا فى اقبال الناس عليه ، اذ كان يلبس جبة وكساء وعمامة عجرا (٢) فلما استمعوا اليه وجدوا عنده آراء جديدة حية ، ولمسوا فيه غيرة على الدين ، أكثر من رجال الدين ، الرسميين ، فزادوا احترامه واشتد اقبالهم عليه ، كما زاد فى الوقت نفسه نفور رجال الدين منه وعنفهم نحوه ، لأجل الأغراض الشخصية ، لكن ذلك لم يحل دون أن تسرى آراؤه السياسية والاجتماعية ، فى عقول المستمعين اليه فوصلت مكافحته الى حد أن المستر « بلنت » يعترف بأن سعى العثمانيين فى

(١) هى مدينة فى تركيا التى تسمى أيضا بـ « استانبول » .

(٢) ضخمة .

تحويل حكومتهم الى حكومة دستورية فى بادىء الامر قد ينسب الى شىء من تأثير « جمال الدين » الافغانى .

وعلى أى حال قد أقام السيد فى عاصمتهم يحاورهم ، ويخطب فيهم ، وأنه لا ينقطع عن القاء المحاضرات فى المساجد والمحافل ، وبخاصة فى جامع « أيا صوفيا » وجامع « أحمد » ، وبذلك ثار حسد الحاسدين ، وكيدهم « جمال الدين » الافغانى ، وذلك من احدى آفات الشرق ، أن ما من شخص ينجح ولو نجاحا يسيرا - لا يضر أحدا ولا يقطع الرزق عن أحد ، بل يكون وسيلة لفتح أبواب الخير - الا وأغر نجاحه صدور الأشرار فأخذوا يحاولون هدمه ، وتجريحه حتى يكون فى زمرة العاجزين معهم ، وإذا عجزوا عن تحطيمه ، ووصلت مكافحة أهل الحق الى النجاح والفوز يجتمع أهل الهمم الدنية يقولون أقاويل كثيرة ويتظاهرون بأعمال الصلحاء ، ويحبون أن يحمدا بما لم يفعلوا ، حتى كثيرا ما يحاولون قلب الحقيقة فينسبون النجاح والفوز الى أنفسهم . وقد عبر الافغانى عن هذا المعنى فى مجلة العروة الوثقى فقال : « لا يبعد أن يسخر بالعالم الفاضل أناس لا خلاق لهم ، أو يقصده بالاضرار من لا ذمة له ، ولكنهم بأنفسهم يهزأون ، وبمصالحهم يضررون ، ولا يطول عليهم الزمن فى هذا العمل ، بل لا يلبثون اذا بدت الثمرة الشهية أن يهرعوا لاقتطافها .. ولا يسعهم بعد ذلك الا الحمد لغارس الشجرة ، ثم قال : بل ربما نسبوا الفضل لأنفسهم .. » وعلى هذا من المؤسف أن أحد أئمة رجال الدين وهو شيخ الاسلام فى تركيا الذى يعرف باسم حسن فهمى أفندى قد حسد وحقد على السيد جمال الدين حينما اقترح السيد فى مجلس المعارف طرقا خاصة لنشر التعليم .

وفى الواقع أن الحقد والحسد وليدا الجبن والضعف ، اذ أن القوى الشجاع لا يحقد ولا يحسد لأنه يصل الى ما يريد ، أما الجبان فهو لا يستطيع البناء ، فيحسد ويحاول الهدم . وقد اختار « حسين فهمى أفندى » أن يطعن خصمه فى اسلامه حتى ينفر الناس منه وبدأ الصراع من الخطاب الذى القاه السيد جمال الدين الافغانى فى « دار الفنون » فى اواخر سنة ١٨٧٠ ميلادية رمضان سنة ١٢٨٧ هجرية ، وكان الافغانى أراد أن يتقى شر كائديه ، فعرض خطابه قبل أن يلقيه على وزير المعارف ، وغيره من كبار القوم ، فاثنوا عليه ، وأعجبوا به ، وجاء يوم الخطاب واجتمع الناس لسماع ذلك العالم الغريب الجليل ، الذى يتكلم بلسانهم ، وكان الكتاب خاصا بالحديث عن الصناعات والفنون ، وما حققته للناس من منافع ، وفيه استطرد جمال الدين الافغانى الى المقارنة بين الفلسفة

والنبوة فقال « ان الفلسفة صنعة من أكمل الصناعات ، وأنها تكتسب بالبحث والدرس ، أما النبوة فمنحة الهية يختص بها الله من يشاء ، أو يصطفى من عباده ، كذلك تفترق النبوة عن الفلسفة أو الحكمة من جانب آخر وهو أن النبي معصوم يهبط اليه الوحي دون مقدمات أو طلب ، أما الحكيم أو الفيلسوف فيخطئ ، ولا يصل الى الحقيقة الا بعد جهد كبير ، وقد لا يصل اليها أبدا . فبعد هذا بدأ شيخ الاسلام يثبت حقه « (١) ويقول أن السيد جمال الدين يزعم ان النبوة احدى الصناعات ، ثم بعث رجاله الى وعاظ المساجد يستعديهم على الأفغانى ، لكى يهاجموه ويرموه بالاحاد والكفر ، وأراد جمال الدين أن يدفع هذه الفرية عن نفسه ، فطلب محاكمة شيخ الاسلام على بهتانه ، ووجدت الصحف في هذا النزاع غداء لقرائها ، فنسجت حوله ، وزادت فيه ، وانقسم الناس الى فريقين : أحدهما يناصر شيخ الاسلام ، والآخر يعضد خصمه ، وأن بعض العقلاء نصح (السيد جمال الدين) أن يلتزم الصبر ، وأن يدع الأيام مهمة الكشف عن بطلان المبطلين ، لكنه أبى إلا أن يظهر الحق .

وصلت المناقشة والخلاف الى حد اضطر الصدر الأعظم أن يحسم الخلاف ، وطلب من السيد أن يتكرم بمغادرة الاستانة ، لكى يعود اليها فيما بعد عندما تهدأ النفوس ، هذا هو ما حدث لفيلسوفنا السيد « جمال الدين » فى بلاد خليفة المسلمين .

« خروج السيد من تركيا واتجاهه الى الحجاز ثم الى مصر »

غادر جمال الدين تركيا مغضبا ، واتجه نحو الحجاز ، فأقام به فترة قصيرة ، لكن لعدم ملائمة الجو لصحته أراد أن يقصد مصر للمرة الثانية .

« عودة السيد الى مصر مرة ثانية وما حدث له فى مصر »

عاد السيد الى مصر وذلك فى ٢٢ مارس سنة ١٨٧١ ميلادية

(١) من كتاب جمال الدين الافغانى للدكتور محمود قاسم ص (١٩ - ٢٠)

وأوائل سنة ١٢٨٨ هجرية وكان فى تلك الأيام « رياض باشا » ناظر
النظار « رئيس الوزراء فى مصر هو الذى استماله للمجىء اليها ،
وحسن له الإقامة بها وكان قد عرفه عندما ليقه فى تركيا ، وأدرك انه
الرجل الذى يمكن الاعتماد عليه فى تحريك الرأى العام المصرى ، تجاه
الخطر الغربى ، الذى بدأ يتضح فى الأفق ، لقد كان رياض باشا شديد
الرغبة فى النهضة المالية والسياسية والفكرية ، وكان يعتقد ان الأفغانى
يستطيع أن يشعل الفيرة الوطنية ، اذ لمس فيه أنه يستطيع أن يدفع
الناس الى الحركة والثورة والمطالبة بالحقوق .

فلما جاء « جمال الدين » الى مصر رحبت به حكومتها ، وعينت له
مرتبا قدره عشرة جنيهاً ، وخصصت له مسكناً ليدرس فيه لطلبة العلم
— ان شاء — ، ويقال انه سكن فى الأزهر ، ثم تركه . ويقال انه كان
ينزل بخان الخليلى أو بحارة اليهود ، وقد ذكر بعضهم انه جرت بينه
وبين علماء الأزهر مناظرة انتهت الى المنافرة .

وكان لا يذهب اليه الا زائراً ، ولم تكن زيارته له الا فى يوم
الجمعة ، لكن مع هذا جاء اليه الطلاب والتلاميذ ، من كل طرف ، فقرأ
عليهم كتباً مختلفة فى الدين والفلسفة والتصوف ، لكن تأثيره فيهم من
الناحية السياسية كان أعظم ، وكانت له مجالس معروفة مشهورة ، وكان
من عادة السيد أنه يلزم داره طيلة النهار ، فاذا أقبل الليل يخرج متوكئاً
على عصاه الى مقهى قرب الأزبكية ، يدعى «قهوة البوستة» وهو يجلس
والقبة من تلاميذه تتألف حوله ، على هيئة نصف الدائرة ، فيهم اللغوى ،
والشاعر ، والمنطقى ، والطبيب ، والكيمائى ، والتاريخى ، والجغرافى ،
والمهندس ، والطبيعى ، فيتسابقون فى القاء أدق المسائل عليه ، فيحل
عقد اشكالاتها فرداً فرداً . بلسان عربى مبین ، يتدفق كالسيل من
قريحة ليس فيها الكلال ، فيدهش السامعين ويجيب السائلين ،
والمعترضين ، بما يقنعهم ، تدوم هذه الندوة حتى يشتعل رأس الليل
شيباً . . فيعود الى منزله ، بعد أن ينقد صاحب المقهى ثمن ما تناوله
الآخرون . وكان السيد الأفغانى لما عرف أحوال المصريين وقضاياهم ،
أحزنه ما انتهوا اليه من بؤس وتدهور فى أيام اسماعيل ، وقد أيقن
« جمال الدين الأفغانى » ان لا سبيل الى ايقاظ المصريين من نومهم الا
بتعليمهم ، لأن الجهل أصدق حليف للعدو ، ووضع أسس التضامن بين أبناء
البلد ، وكان المصريون فى عهد « السيد جمال الدين » كما قلنا مواجهين
لأشد المشاكل ، وكانوا يعتقدون انهم عبيد للوكمهم ، لا يملكون الا الطاعة

والرضا بالضميم ، ولم تكن عند أكثرهم فكرة عن الوحدة ، واحياء الحقوق ، حتى قيل انه لو رضى الملوك أن يشركوا رعاياهم في الحكم فأنشأوا لهم مجلسا نيابيا ، لرأيت عجبا ، اذ سوف لا يكون هناك أثر لحزب اليسار أو المعارضة ، بل سوف ينضم الأعضاء جميعهم الى ناحية اليمين ، وسيكونون كلهم آله صماء ، وسيرى كل عضو أن الدفاع عن الوطن ومناقشة الحاكم والحساب قلة أدب ، وسوء تدبير ، هذا ما يلمسه الافغانى فى عصره . اذن من العيب فى رأيه أن يبدأ الاصلاح بالنظم السياسية والنيابية ، بل يجب اصلاح النفوس والعقول أولا « فانها لو صلحت لما وجد الناس مشقة فى اصلاح حكومتهم » هذا وقد أدرك الافغانى أن الكتابة فى الصحف أقرب الى عقول العامة ، وأكثر وقعا فى نفوسهم ، وأشد تحريكا لشعورهم ، لذلك جهد فى انشاء بعض الصحف وعهد الى جماعة من اتباعه أن ينشئوا جريدة « مصر » وكان « أديب اسحق » يرأس تحريرها ثم وجد أن الاسكندرية أفضل من القاهرة فى مصادر الأخبار فطلب من « أديب اسحق » أن ينتقل اليها ، وأن يسهم مع « سليم نقاش » فى اصدار صحيفة أخرى هى صحيفة « التجارة » ، ثم قال لتلميذه الامام « محمد عبده » « وابراهيم اللقانى » أن يكتبوا فى هاتين الصحيفتين مقالات أدبية ، واجتماعية ، بقدر استطاعتهما .

أما « جمال الدين » فقد اتجه الى الكتابة فى كثير من الموضوعات السياسية ، والاجتماعية ، فكان ذلك عاملا على اذاعة صيته وظهور أمره وكان يكتب باسمه الحقيقى ، وأحيانا كان يوقع مقالاته باسم مستعار هو « مظهر بن وضاح » وقد أثارت كتابته السياسية ضجة كبرى ، وكان لها دوى شديد فى مصر ورجع صداها فى انجلترا ، اذ بين السيد جمال الدين الافغانى أساليب غدر الانجليز وحيلهم فى استعمار الشرق ، وكشف عن طرقهم فى استخدام التفرقة بين أمرائه وشعوبه ، وبين أنهم يدعون بأنهم يتدخلون لحماية العروش الهاوية مع أنهم يضمرون الفتك بالشعوب . ويتظاهرون فى الوقت نفسه بالعطف عليها ، ومحاولة اصلاح أمرها ، ودفع الظلم عنها ، ورفع مستوى الحياة بين أفرادها . وقد بلغ اهتمام الانجليز بهذه الكتابات الى حد أن « جلادستون » رئيس حزب الأحرار فى انجلترا أشار الى « جمال الدين » فى كتاباته ووصفه بأنه من قادة الفكر فى العالم الاسلامى .

وكانت تعاليم الافغانى وأحاديثه السياسية فى مجالسه لأجل ايقاظ الهمم الراكدة ، وتحريك العزائم الخاملة ، وما زال يذكر المصريين بسوء

حاليهم ، ولا يمل من ان يدعوهم (١) أن قد آن لهم أن يتحرروا من رقهم وعبوديتهم وكان لا يجد حرجا في أن يعيرهم بجبنهم ، وخوفهم من الانجليز ، بل من كل الشعوب التي حكمتهم من أزمان بعيدة . وكان يتساءل : لماذا يقبلون العسف ويرتضون الهوان ؟ ثم يخدعون أنفسهم عندما يبررون قبولهم للدل بحجج وأهية زعموا أنها من الدين ، كقولهم : انهم قوم صابرون راضون بما قسم الله لهم ، مع أنهم كانوا يرون في أثناء صبرهم وتواكلهم أن الولاة ما زالوا على قسوتهم . يقول السيد : « لو كان لدى هذه الرعية قليل من الاعتداد بالنفس ، والاحساس بالكرامة ، لما قبلت الذل والظنك ، أليس عجبا أن يضحك هؤلاء القوم في حين يجدر بهم البكاء ؟ لقد ألفوا ان يقابلوا المصائب بالمرح والابتسام . »

وليس هذا الخلق خاصا بالمصريين وحدهم ، بل نجده بصور متفاوتة لدى الشعوب الشرقية بصفة عامة ، كما أن الكواكبي يقول لأهل الشرق : « هل لكم في هذا الصبر فخر أو لكم عليه أجر ؟ كلا والله ساء ما تنوهمون ، ليس لكم الا القهر في الحياة ، وقبح الذكر بعد الممات ، لأنكم ما أفدتكم ولا استفدتكم من الوجود ، بل أتلفتكم ما ورثتم عن السلف ، وصرتكم بثس الواسطة للخلف . . تشكون الفقر ، ولا سبب له غير الكسل ، هل ترجون الصلاح وأنتم يخادع بعضكم بعضا ، ولا تخذعون الا أنفسكم . ترضون بأدنى المعيشة عجزا ، وتسمونه قناعة ، وتهملون شئونكم تهاونا وتسمونه توكلا . . لماذا تحكمون فيكم الظالمين حتى في الموت ؟ ليس لكم من الخيار أن تموتوا كما تشاءون لا كما يشاء الظالمون ؟ هل سلب الاستبداد ارادتكم حتى في الموت ؟ » .

وكان الافغانى يهاجم الدول الأوروبية التي كانت تتدخل في الشئون المصرية ، وكان السيد جمال الدين يرى أن الأحزاب لا تكاد تتألف حتى يدب الشقاق بين قادتها ، وينصرف عنها المخلصون . لكن نظرا لأن الحزبية كانت اذ ذاك في مصر أمرا واقعا فقد اضطر من سنة ١٨٧٨ م أن يلتحق بالنظام الماسونى الذى يربط أعضائه برباط متين . حتى أصبح السيد من الرؤساء بعد وقت قصير (٢) لكن لما رأى الافغانى أنه لا يستطيع العمل مع أمثال هؤلاء الاخوان الخاملين الخائفين ، أنشأ محفلا وطنيا ، وجمع فيه طلابه ومريديه ، وبلغ عدد هؤلاء نحو من ثلثمائة عضو وكان هو رئيسه ، واشتدت حركة المطالبة بالحقوق ، وكان

(١) كتاب جمال الدين الافغانى حياته وفلسفته - تأليف دكتور محمود قاسم ص (٢٨-٢٩)

(٢) كتاب زعماء الاصلاح في العصر الحديث - تأليف أحمد أمين ص (٧٢ - ٧٣) .

يلقنهم محبة الحرية ، ويحرضهم على المطالبة بالحياة الدستورية لمراقبة ملوكهم ، لذلك طلب توفيق باشا من الأفغانى أن يقابله وأكد له أنه يحب الخير للمصريين ، وأنه يرغب فى النهضة بمصر ، ولكن ماذا يستطيع عمله وحده اذا كان الشعب خاملا جاهلا ؟ . فقال جمال الدين : « ليسمح لى سمو أمير البلاد أن أقول بحرية واخلص : ان الشعب المصرى كسائر الشعوب لا يخلو من وجود الخامل والجاهل بين أفرادهم ، ولكنه غير محروم من وجود العالم والعاقل ، فبالنظر الذى تنظرون به الى الشعب المصرى وأفراده ينظرون به لسموكم وان قبلتم النصيح من هذا المخلص واسرعتم فى اشراك الأمة فى حكم البلاد عن طريق الشورى . . يكون ذلك أثبت لعرشكم وأدوم لسلطانكم » . وأظهر توفيق بن اسماعيل أنه يقدر هذه النصيحة ، ووعد أن يعمل للإصلاح اذا جاء دوره ، لأنه فى الوقت كان الاختيار التام لأبيه اسماعيل وكانت هذه الصلة بين توفيق والأفغانى سببا فى ازدياد نفوذ توفيق اذ التف حوله رجال مصر من اصحاب المناصب الرفيعة وأرباب القلم ، الذين ينشرون آراءه السياسية والإصلاحية ، وفى هذا الوقت كانت مظالم اسماعيل وعدم تعقله فى اجراءاته وصلت الى حد ان كل الشعب جعل يطلب عزل اسماعيل ، ويقال انه اقترح السيد على تلميذه محمد عبده أن يقتل اسماعيل ، وأن محمد عبده اعترف بأن السيد جمال الدين كان حريصا على خلع اسماعيل ، وأنه اقترح عليه ان يقتله ، وكان محمد عبده أراد انفاذ أمر أستاذه لكنه لم يفعل لأنه قد جاء نبأ بعزل اسماعيل من الاستانة فى ٢٦ يونية سنة ١٨٧٩ ميلادية . وفى اليوم نفسه جاء الى توفيق نبأ بتوليته خديويا على مصر ، وجاء فى أول خطاب توفيق ما يدل على أنه أراد أن يفى بوعد الذى قطعه على نفسه من قبل لجمال الدين وصحبه ، وهو ضرورة النهوض بالبلاد ، وسداد الديون ونشر التعليم ، وتحقيق الحكم النيابى، لكن بعد مدة ظهر أن توفيق كان ضعيف الرأى والعزم والارادة ، وشديد التردد ، يخاف على عرشه ولم يعمل بما وعد بل قصد طرد السيد جمال الدين وفراره من مصر . (١)

(١) من حديث لمحمد عبده فى منزله فى ١٨ مارس سنة ١٩٠٣ . كتاب التاريخ السرى للاحتلال البريطانى لمصر فى ص (٣٥٤) .

« مجمل الخدمات التي قام بها السيد جمال الدين الأفغانى والحزب الوطنى فى مصر . . »

أقام السيد فى مصر ثمانية أعوام أدى فيها خدمات جليلة لمصر ،
والمصريين ، والشرق والشرقيين ، والاسلام والمسلمين . بل وللإنسانية
جمعاء . كما كتب الشيخ محمد محلاتى الغروى الفارسى فى كتابه . .
كفتارخوش يارقل (١) عن الخدمات التى أداها السيد لمصر فى أثناء إقامته
فيها ما يلى :

وقد أعجب الشيخ محمد عبده فى ذلك الوقت بشخصية جمال
الدين ، فلأزمه ملازمة الظل ، فأخذ يدرس عليه الفلسفة ، وعلم الكلام ،
والفقه ، والاصول ، والفلسفة الجديدة ، وأصول العصر الحاضر ومبادئه ،
كما أن عرابى باشا والمهدى وتلاميذه وأغلب المثقفين فى مصر يعملون لخير
البلاد ، ورفاهية الشعب المصرى ، ونجاته وحرية ، وكان السيد يبدو
كأنه صاحب نفس عيسى ، ويد موسى ، فيؤثر فيهم تأثيرا قويا ، وقد أقدم
هنا على تأسيس الحزب الوطنى ، فهرع اليه الشباب المصرى ، فكان
لارشاداته أثر كبير فى تهذيب نفوسهم ، فغرس فى قلوبهم حب الاسلام ،
والعمل على توحيد كلمة المسلمين ، وأيقنوا أن اتباع نصائحه فيه حياة
للأمة الاسلامية ، فلبوا دعوته وقدروها حق قدرها ، والتف حوله شباب
المسلمين فى مصر اذ كان يفتح لهم المشاكل بمفتاح السعادة ، الذى كان
فى يده المباركة ، وانهقدت أول جلسة من جلسات الحزب الوطنى المصرى
برئاسته . وكان هذا الحزب دقيق التنظيم للغاية ، فلم يكن للصوص مجال
بين صفوفه ، وكان محرما على أعضائه أن يتخذوه وسيلة للشهرة ، أو أن
يتخلقوا بأخلاق الأجانب ، فكان الحزب بذلك ميزانا يزن الأشخاص ،
ويفرق بين الغث والسمين ، وكان أعضاؤه بعيدين كل البعد عن العجب
والانانية ، مستعدين كل الاستعداد لبذل كل مرتخص وغال فى سبيل
رقى البلاد ، ورفعة شأنها ، وكان جمال الدين على رأسهم يدعونه ويحسمهم
وكان عدد أعضاء الحزب الوطنى المصرى ثلثمائة عضو فى قول أو أقل من
ذلك فى أقوال أخرى ، وكان جمال الدين يطلع المجتمعين على حقائق ما فى

(١) طبع هذا الكتاب بسعى واهتمام السيد محمود فى المطبعة العلوية بالنجف الاشرف
فى سنة ١٣٤٠ هجرية .

دين الاسلام المبين ، وشريعة خير المسلمين من سمو ورفعته في حطب
نارية ، يلقيها بين الحين والحين ، ويبرهن على أن الاسلام أرشد الناس عن
طريق كتابه المبين « والقرآن الكريم » الى ما في الرقى المادى والمعنوى
للطبيعة البشرية .

وبين السيد أن أجدادنا وأسلافنا بلغوا أعلى مراتب العز والسؤدد ،
حينما تمسكوا به ، وألوا بحقائقه وحققوا أهدافه .

فلما انحرفوا عن السير في هذا الطريق السوى ، ونفذوا أحكامه
وراء ظهورهم ، سقطوا الى هذا الدرك من الحياة ، لان الله لا يغير ما يقوم
حتى يغيروا ما بأنفسهم . وأنه لا مجال الى الشكوى من الأوروبيين واتهامهم
بأنهم سبب انحطاطنا ، لأن المسلمين لم يذلوا الا بعد انحرافهم عن الطريق
القويم . ثم بين أن الوسيلة المثلى لخلاص المسلمين مما تردوا فيه ، انما
هى التمسك بحبل الله المتين كما بين القرآن . وقد اعتلى السيد منبر الخطابة
عند انعقاد الجلسة الخامسة عشرة للحزب الوطنى وافتتح كلامه بقوله :
« اللهم انك قلت وقولك الحق (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان
الله لمع المحسنين) وحيث ان دعوتى قد وجهت الى هذه النفوس الزكية
التي اجتمعت هنا فلبوها طائعين مخلصين لوجهك الكريم ، فاللهم أرشدنى
حسب قولك الحق الى سبيل الهداية .

أيها السادة : اعلموا ان المدنية الانسانية الفاضلة ، وأن الصراط
المبستقيم للسعادة لا يتحققان الا بالقرآن .

فالقرآن الكريم هو الدستور المقدس ، وهو خلاصة أشرف الأديان .
والبرهان القاطع لحاتم الأديان السماوية الى يوم القيامة ، وهو الذى يكفل
السعادة فى الدارين والنجاة فى الحياتين ، فواء لنا كيف غفلنا عن
حقيقته !

وقد أخذ هذا الدستور بيد أسلافنا الى طريق السعادة والمجد ،
ورفعهم الى السماكين ، رغم أنهم لم يكونوا فى درجتنا من الحضارة ، فكيف
تركناه وراءنا ظهريا ، واكتفينا بتلاوته على القبور فى ليالى الجمع ، وجعلت
تلاوته وسيلة يشغل الصائمون بها أوقاتهم ، ويتسلى بها الأطفال فى
المكاتب ، واتخذنا منه التعاويذ والنذور والقرايين ، وجعلناه مطية للايمان
الكاذبة ، ووسيلة للتسول ، وزينة لرقاب الأطفال ، وقلائد العرائس ،
ومعاصم الخبازين ، وحماية للمسافرين ، وسلاحا لمن أصابهم مس من
الجن ، وزينة للحفلات ، وأقواس النصر وحرزا للمصارعين ، وسلعة

للتجارة بين البلاد المختلفة ، ورأس مال لباعة الكتب ، وتبركا في الانتقال من بيت الى آخر ، والة في يد السحادين من ارادل الرجال والنساء في الطريق والتسوارح . . . فوا أسفاه ! ان سوره من القرآن هي « سورة العصر » لا تزيد عن ثلاث آيات قد أدت الى سعادة شرذمة من أصحاب الصفة ، فاستطاع أفرادها أن يحولوا بطحاء مكة التي كانت محطا للشرك ، ودارا للأصنام الى بيت للتوحيد ومصلى للعبادة . . فوا لهفتاه ! ان هذا الكتاب السماوي المقدس المنزل من قبل الذات الالهية ، والذي هو ذخيرة لكل السعادات الانسانية ، قد انحط قدره ، وصار أقل في الانظار من ديوان كليات سعدى وحافظ الشيرازيين ، وعمر بن الفارض ، والمثنوى لجلال الدين الرومي ، وصارت العناية به أقل من العناية بها ، فلم يستفيدوا من مواعظه وآدابه وحكمه رغم أن الأفواه والعيون تفتتح عجباً عند سماع أبيات من الشعر في الوقت الذي لا يأبه فيه انسان بالقرآن عند تلاوته ، ولا يحاول تدبر معانيه . أي وحقق . . سبحانه . . اللهم ! . . انك القائل وقولك الحق . . « نسوا الله فأنساهم أنفسهم » . لقد نسيناك وحرمت مرآة قلوبنا من انعكاسات معرفة حقيقتك . . سبحانه اللهم لقد قلت وقولك الحق « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » وقد حولنا وجوهنا عن طريق طاعتك ، فاستبدلت عزتنا وسعادتنا ذلاً وهواناً ، فعليكم بذكر الله الأعظم وبرهانه الأقوم ، فان نوره المشرق هو الذي به تخرج الهواجس ، ويتخلص من عتمة الوسوس ، وهو مصباح النجاة ، من اهتدى به نجا ، ومن تخلف عنه هلك ، وهو صراط الله القويم ، من سلكه هدى ، ومن أهمله غوى ، عليكم بالفوز مما انتشر من لآلئ مقالات صاحبه عليه السلام ، لقوله صلوات الله على قائله : « اذا أزد الله بقوم سوءاً أقل منهم العمل وأكثر فيهم الجدل » وقوله عليه السلام :

« ثلاث لا يقل بها قلب امرئ مسلم . اخلاص العمل فيه ، والنصيحة لأمرء المسلمين ، ولزوم جماعتهم . المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم » وقوله عليه السلام : « لا يزال الأمر في أمتي ما لم يتخلقوا بأخلاق الفرس » . وأشبه هذه الفرر الزاهرة التي تضمن واحدة منها سعادة الأمم كلها والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وحينما نزل السيد من فوق المنبر وجد أن ثلث أعضاء الجلسة قد اغشى عليهم من فرط التأثر ، ووجد الباقيين على وشك أن يفقدوا رشدهم فبكى السيد وأخذ يردد قوله أي وحقق اللهم نسيناك فأنسينا أنفسنا ، ويظل يردد هذا القول حتى يسقط ، ويفقد صوابه ، وهكذا ظل الحاضرون ثلاث ساعات بين بكاء وأنين وانغماء .

ثم تقدم « حسن عطا بك » صهر خديو مصر الى السيد ورش على وجهه ماء معطرا فأفاق واختتم كلامه بقوله : « يجب على كل مسلم ينبغي نجاة الاسلام والمسلمين أن يعمل بأحكام القرآن ويطبقها تطبيقا دقيقا ، وأن يقتدى بأسلافه من أهل الصدر الأول من المسلمين ، وأن يجعل دأبه خلوص النية ، وصفاء الباطن ، وخدمة المجتمع ، والابتعاد عن البخل والحسد والطمع ، وأن يلتزم بساطة العيش ، والعمل بالواجبات ، واجتناب المحرمات ، فهذه هي الوسيلة الناضجة التي اتبعها أسلافنا فنجوا » .

وقد تحمس الناس وكان أول عمل عملوه أنهم باعوا ما يملكون من أثاث وفرش ، ومن وسائل الركوب والترف ، وتبرعوا بثمنها لصندوق الحزب الوطني ينفق منها على المعوزين والمحتاجين ، والعجزة ، وفي سبيل اصلاح الأمة الاسلامية . كما تعهد كل عضو من أعضاء الحزب ان يطيع الله ، وأن يطبق ما جاء في القرآن ، وأن يتلو حزبا منه كل يوم على الأقل ، وأن يعمل فيه فكره بتدبير وامعان ، وأن يسير على الأسس الآتية :

- ١ - أن يؤدي الفرائض والنوافل وأن يلزم صلاة الجماعة .
- ٢ - أن يامر بالمعروف وينهى عن المنكر .
- ٣ - أن يدعو الى الاسلام .
- ٤ - ألا يجادل أهل الكتاب الا بالتي هي احسن .
- ٥ - أن يحسن الى الفقراء .
- ٦ - أن يسعف المحتاجين ويعينهم ما استطاع الى ذلك سبيلا .
- ٧ - أن يصل الرحم .
- ٨ - أن يعود المرضى .
- ٩ - أن يتفقد احوال أصحابه الغائبين .
- ١٠ - أن يرحب بالقادمين .
- ١١ - أن يؤتي الزكاة .
- ١٢ - أن يرشد الجاهل وينبه الغافل .
- ١٣ - أن يخلص نفسه من التحصيل الرديئة ولا سيما العجب والأنانية وحب الذات وما شابه ذلك .

- ١٤ - أن يعفو ويصفح عن أخطاء الآخرين •
- ١٥ - أن يكظم الغيظ •
- ١٦ - أن يتجنب اللهو واللغو •
- ١٧ - أن يحمل كل عضو من أعضاء الحزب دفترًا يسجل فيه المواد السبع عشرة الآتية :

- (أ) الاحسان الى الفقير •
- (ب) الاستفسار عن الغريب •
- (ج) تحية القادم •
- (د) تفقد أمور الغائب •
- (هـ) الأمر بالمعروف •
- (و) عيادة المريض •
- (ز) صلة الرحم •
- (ح) ارشاد الجاهل •
- (ط) تنبيه الغافل •
- (ي) مناقشة أهل الكتاب بالحسنى •
- (ك) التوبة عن الفسق •
- (ل) إزالة الرذيلة •
- (م) العفو عن الخطأ •
- (ن) كظم الغيظ •
- (س) هداية الكافر الى الاسلام •
- (ع) أداء الحق •

على أن يسجل كل منها في الدفتر على حسب هذا التسلسل ، وأن يأخذ كل انسان نفسه بالعمل بها ، ثم يسجل الجميع هذا في سجل عام يضم جميع أعمال رجال الحزب الوطنى ، حتى يعرف محصول الحزب حينما يعقد مؤتمره العام •

وقد قام أعضاء الحزب بتنفيذ هذه التعاليم ثم أحصوا ما حصلوا عليه من نتائج فوجدوه كالآتي :

١ - تسعون ألف تومان إيراني أى ما يساوى ١٨٠٠٠٠ جنيه مصرى فى ذلك الوقت جمعت من التبرعات النقدية للأعضاء .

٢ - بلغ عدد المرضى الذين عادهم أعضاء الحزب وأعانوهم ألفاً وخمسمائة مريض .

٣ - بلغ عدد الغائبين الذين تفقدوهم خمسمائة غريب .

٤ - عدد الحاجات التى قضوها اثنتى عشرة ألف حاجة .

٥ - بلغ عدد الذين تابوا من شاربى الخمر وتاركى الصلاة خمسة وعشرين ألفاً .

٦ - ترك جميع من كانوا فى الإدارات الانجليزية أعمالهم وانضموا الى المجاهدين من رجال الحزب الوطنى .

٧ - بلغ عدد الأكابر الذين تنازلوا عن ثرواتهم للحزب الوطنى وتركوا حياة الترف خمسمائة .

٨ - بلغ عدد من عوضوهم من التجار الفلسطينيين ٧٥ شخصاً .

٩ - بلغ عدد من مدوهم بالمعونة من أبناء السبيل ٢٠٦ اشخاص .

١٠ - بلغ عدد من اعتنق الاسلام من النصارى واليهود ١٢٠ شخصاً .

١١ - بلغت مجالس الدعوة للاسلام ٤٤ مجلساً .

١٢ - بلغ عدد الحلول العقلية والاجتماعية التى أعطيت لمن طلبها ١٢٠ حلاً .

وعلى هذا النهج أخذت الخدمات الاجتماعية للحزب الوطنى فى كل ناحية للحياة المدنية تتوسع وتقوى يوماً بعد يوم .

كما أدرك اللورد « كرومر » المستشار البريطانى أن نفوذ بريطانيا أخذ فى التقلص بدرجة عجيبة ، وأن تجارة الانجليز كسدت كساداً شنيعاً ، ورأى المبشرون فى القارة الأفريقية أن ما عمله الحزب الوطنى المصرى يبلغ أضعاف ما فعلوه هم فى سنوات عديدة ، وأصيب الموظفون الانجليز بكثير من الفرع ، لأنهم رأوا أن المصريين لا يريدون التعاون معهم .

مما أصاب العمل بعقم شديد ، كما لاحظ أصحاب الشركات التجارية الانجليزية ذلك ، وأن المصريين يعدونهم أعداء للإسلام والقرآن ولا يرغبون في التعاون معهم ، مما أصاب تجارتهم بكساد عجيب . فكتب اللورد « كرومر » في تقريره الى حكومته : أن الحزب الوطني الذي يمسك بزمامه « جمال الدين » الافغانى لو ظل يواصل نشاطه بهذه الطريقة فانه سوف يقضى على التجارة الانجليزية في مصر ، وافريقية ، وآسيا ، كما يقضى على النفوذ الانجليزى قضاء مبرما ، وبين أن وجود الحزب الوطنى أشد عائقا يقف في طريق هذه السياسة وأنه يجب القضاء على الحزب قضاء مبرما .

وكتب فى تقرير آخر يقول : ان الحزب الوطنى هو أوضح مظهر لنهضة العرب منذ ثلاثة عشر قرنا من الزمان ، وهو يبرهن حقا على كيفية سيطرة العرب على ثلث المعمورة فى أقل من ربع قرن .

وقال أعضاء المجمع الكنسى : لم يدر بخلد شخص شىء أعجب من أن سبعمائة مليون من المسيحيين المثقفين الأقوياء المجهزين بكل ما يلزم الانسان فى حياته يتقهقرون ويتراجعون أمام أربعين شخصا يقودهم درويش ٠٠ وكتب أحد الأطباء فى مستشفى بورسعيد وكان أيرلندى الجنسية فى كتابه فلسفة المجتمعات يقول :

كنت قد سمعت أن الأشياء يمكن أن تتضاعف الى مئات الاضعاف ، فاذا ضوعف مثقال من القمح حسب قواعد التضخيم الموجودة فى خانات الشطرنج ، فانها تحتاج الى ثلاثة آلاف مخزن ، كما تحتاج فى حملها الى ٣٦٠ بعيرا ، أو أن المن (١) التبريزى اذا ضوعف حسب القاعدة الشطرنجية المذكورة فان الناتج يكون ٧٢٧٠٨٩ ضروارا (وزن أيرانى يساوى سدس طن) وهو يساوى مجموع محصول القمح فى العالم كله ، ويحتاج فى حمله الى جميع الطرق الحديدية ، وسفن العالم كلها . نعم قد سمعنا عن هذه القاعدة التصاعدية ولكننا لم نجد لها أكثر من هذه النسبة التصاعدية التى نتجت فى مصر ، فان رجلا ٠٠٠ جاء اليها ثم انضم اليه واحد هو الشيخ محمد عبده ، ثم استطاع أن يكون حزبا بلغ عدده فى خلال تسعة أشهر ٢٠١٨٠ عضوا ، وأصبح يملك رأس مال كبير فى المصاريف ، وأصاب المصالح الأوروبية بأضرار عجيبة ، ولو ظل هذا الحزب يتوسع بهذه الطريقة فانه يشمل جميع سكان العالم بناء على هذه النسبة التصاعدية .

(١) نوع من الصنج يوزن به فى ايران .

وكتب رئيس شركة انجليزية الى أحد الصيارفة في لندن يقول له :

أخي العزيز ان تغلب السياسة الأوروبية اليوم في مصر بهذه الصورة ستغلب غدا في العالم كله ، فقد تفهقت امام جماعة لا يملكون الا بساطة العيش ، والمثابرة في العمل ، وحب النوع (البشرى) .

وكتب أحد الضباط البريطانيين الى قرينته يقول :

زوجتي العزيزة : ان المجتمع الاسلامي تسوده نهضة وثابة ، تبذل الانسان يعتقد أن الدول الأوروبية يجب أن تنفض يدها مما تحت أيديها ، من المستعمرات ، ويجب على الشعب البريطاني أن يجد له مأوى في مناطق القطب الشمالية ، أو الجنوبية .

وكان لهذه الأقوال جميعها أثر في نفوس أفراد الشعب البريطاني ، فأيقنوا أن بقاء الحزب الوطني المصري فيه قضاء عليهم ، فسارعوا بتنبية حكومتهم الى ضرورة القضاء على الحزب الوطني المصري ، والتنكيل برئيسه ، قبل أن يستفحل شره ، ولذلك دبر الانجليز نسج المؤامرات لنفى جمال الدين الأفغانى ثم محمد عبده من مصر ، وتخريب الحزب الوطني ، ووقع ما دبره الانجليز ، كما وقع القبض على كثير من أعضاء الحزب الوطني ، ووظفوا بعضهم في دواوين الحكومة بمرتبات ضخمة ، وقضى الحزب الوطني نحبه ، وكان عمره لا يزيد على تسعة أشهر وبضعة أيام وأخذ الأوروبيون يتنبهون بعد ذلك حتى لا تقوم في البلاد الاسلامية نهضات كهذه .

« منهج مدرسة السيد في مصر »

وضع « جمال الدين الأفغانى » لمدرسته في مصر منهجا ذا شعبتين :

الأولى : اشتملت على دروس علمية منظمة ، يلقيها في بيته على زواره من الأفاضل والمثقفين .

والثانية : دراسات شعبية وتدريبات حرة لشباب البلاد ، وصارت الشعبية الثانية أكبر أثرا وأعم نفعا ألقى فيها الأحاديث على عامة الناس ، بأسلوب يوافق عقليتهم ، ويثير مشاعرهم .

ومن أمثلة ذلك قوله يخاطب الفلاح المصري : « عجبت لك أيها الفلاح ! تشق الأرض بفأسك باحثا عن رزقك . لماذا لا تشق بهذا الفأس صدور ظالميك ؟ » وكما قال السيد جمال الدين في خطابه : « أنظروا أهرام

مصر ، « وهياكل منفيس » ، وآثار « طيبة » ، ومشاهد « سيوه » ، وحصون « دمياط » ، فهي شهادة بمنعة آبائكم وعزة أجدادكم . هبوا من غفلتكم ! اصحوا من سكرتكم ! عيشوا كباقي الأمم أحرارا سعداء » (١) .

ومما لا ينسى أن « السيد جمال الدين » طول اقامته في مصر كان يقوم بتعليم المسلمين وارشادهم ، وينفخ في نفوس الناس روح الانسانية والكرامة . ورغم هذا كان علماء الدين الرجعيون في عصره ينقمون عليه ، لأنهم كانوا يستغلون جهل العامة وسذاجتهم في منفعتهم الشخصية ، فثاروا عليه ، وقالوا انه يقوم بتدريس فلسفة « ابن سينا » ، ويحضر الكرة الأرضية الى المسجد ، لكنهم لم يستطيعوا أن ينجحوا في مقاومته . وأن يمحوا ما بذره السيد من الآراء والأفكار الغالية . رحمة الله عليه ، وعلى من معه ، ومن يتبع منهاجه .

« أهم أسباب الخلاف الذي صادف « جمال الدين » في مصر ومنشأ فراقه منها »

أهم أسباب الخلاف الذي صادف « جمال الدين » في مصر هو كما يقولون ان السيد « جمال الدين » في عصره كان أكثر غيرة من المصريين على حقوقهم وإكرامتهم ، والحق أنه أحس احساسا قويا كيف أن الانجليز أجمعوا أمرهم لوضع أيديهم على مصر ، لأنه عرف أساليبهم وعرف كثيرا من حيلهم في إثارة الفتن والحروب الداخلية ، لأجل هذا حاول إيقاف المصريين ، إلا أن الأصابع الاستعمارية لعبت وراء خطته فاتهمته بأنه ملحد ، وأنه كذا وكذا ، وأن أتباعه يريدون كذا وكذا . حتى أن قنصل انجلترا سعى بينه وبين الخديو وأفهمته انجلترا الخديو توفيق أنه لا مفر من طرد السيد « جمال الدين » ، لأنه يدبر أمرا على خلافه ، وعلى الاتجاه بمصر نحو النظام الجمهوري فلأجل ذلك بينما كان الافغانى عائدا الى داره ذات ليلة من أحد مجالسه المعروفة ، وقد فارقه أصدقاؤه ، أخذه رجال الشرطة واقتادوه الى دارهم ، ثم حملوه الى محطة السكة الحديدية ، وأركبوه القطار الى السويس وكان رياض باشا رئيس الوزراء في الخارج غائبا عن مصر عندما وقعت تلك الحادثة لجمال الدين ؛ إذ لو كان موجودا

(١) ص (٧٣) من كتاب زعماء الإصلاح في العصر الحديث للإستاذ « أحمد أمين » .

للبذل جهدا في عدم طرده (١) ، ويقال ان قنصل ايران في هذه المدينة لقيه ، وعلم منه أنه في طريقه الى الهند ، فعرض عليه مائة دينار لأنه كان ماسونيا مثله ، فأبى السيد « جمال الدين الافغانى » أن يأخذها ، مع أنه كان لا يملك شيئا من المال . وقال كلمته المأثورة : « احتفظوا بالمال فأنتم أجوج اليه ، ان الليث لا يعدم قريسته حيثما ذهب » .

وكان خروجه من مصر في أواسط شهر رمضان سنة ١٢٩٦ هـ أى بعد ثلاثة أشهر من تولي الخديو توفيق للعرش ، وأظهر توفيق سروره بما فعل ، والزمته الجرائد بنشر الأمر الصادر بالنفى ، وما أشتمل عليه من التقرير الشديد والتشنيع الجارح ، على من كانوا يجتمعون معه ، فنشرت الجرائد ، وأبت إحدى الجرائد نشره فعطلت ، وكان في المنشور الذى أصدر لهذه المناسبة العبارة التالية : « أبعد ذلك الشخص المفسد من الديار المصرية بأمر ديوان الداخلية ، لازالة هذا الفساد من هذه البلاد عبرة للمعتبرين ، ولمن يتجاسر على مثل هذا من المفسدين ، البادى من أفعالهم الظاهرة أنهم لا خلاق لهم فى الدنيا والآخرة » . وكتب أحد الأساتذة من المصريين : أن « جمال الدين » قد غادر مصر بعد أن بذر فيها بذرة الثورة ، وبعد أن وضع وحدد المبادئ التى يجب أن يسير عليها المصريون من بعده . لكن الجهد والدسائس الأجنبية فوتت على مصر كثيرا من الخير ، الذى كان يرجى لها ، ولو أنه شهد ما وصلت اليه بلاد الشرق وبخاصة مصر في وقتنا الحاضر لعلم أنه وحده هو باعث النهضة ، وأن جهاده لم يذهب عبثا .

« ذهاب السيد جمال الدين
الى الهند مرة ثالثة
واقامته هناك »

غادر السيد جمال الدين الافغانى ميناء السويس فى (٢٢ أغسطس سنة ١٨٧٩ ميلادية) على سفينة كانت وجهتها الى « بومباي » وقد أقام الافغانى أولا فى « حيدر آباد الدكن » حيث حددت اقامته ، ولم يسمح له أن يقوم بعمل ما غير القراءة أو زيارة بعض الخواص . فلما شبت ثورة

(١) ص (٣٨) لعثمان أمين من سلسلة اعلام الاسلام .

« أحمد عرابي » (١) في مصر نقلته الحكومة الهندية الى كلكتا فأقام فيها حتى انتهت الثورة العرابية .

« مجاهدات السيد في الهند وردة على الدهريين »

لا شك أن السنوات الثلاث التي قضاها السيد في الهند لم تضع عبثا ، اذ قد ألف في أثناء وجوده « بحيدر آباد » رسالته المشهورة التي تعرف باسم « رسالة الرد على الدهريين » وهي التي نقلها الاستاذ « محمد عبده » من اللغة الفارسية الى العربية ، بمساعدة أبي تراب ، تابع جمال الدين الافغانى . والسبب في كتابة رسالة الرد على الدهريين هو كما ذكر في « العروة الوثقى » أن الانجليز أرادوا أن يقضوا على خصائص القومية الهندية لدى المسلمين في بلاد الهند ، ورغبوا في صرفهم عن الحضارة والثقافة الاسلاميتين ، لكي يتحقق لهم هدفهم الاستعماري ، وهو استقرار الحكم الانجليزى الى ما شاء الله ، كما أن الاستعمار بشر في أول الامر بالدين المسيحي ، لكن هذه الحركة لم تنجح ، وألف المبشرون من أذنان الانجليز رسائل في الطعن في الدين الاسلامي ، لكن لم يحصل منها أيضا ما يريد الانجليز ، وعملت أيادى الاستعمار أساليب المشقة على المسلمين ، ومنعوهم من الوظائف العامة ، ووضع أيديهم على أوقافهم التي كانت مخصصة للمساجد والمدارس ، ولكنهم فشلوا فيما كانوا يهدفون اليه .

ثم بدأ الانجليز يتخذون سبلا ملتوية تنتهى بهم الى ما يريدون ، فنشروا الافكار الالحادية في ثوب العلم الحديث .

وكتب « جمال الدين الافغانى » في مجلة « العروة الوثقى » أن أكبر دعاة هذا المذهب كان أحد مسلمي الهند ، وهو « سيد أحمد خان بهادور » وكان هو أحد الذين أرادوا أن يصيبوا نفعا خسيسا بمساعدة الانجليز لهم على تحقيق أهدافهم ، فقدم نفسه لخدمتهم ، وبدأ بأن ألف كتابا يبرهن فيه على أن التوراة والانجيل لم يحرفا ، غير أنه ما لبث أن أدرك أنه لن يفيد أولياء نعمته شيئا بالطعن في الاسلام ، اذ سبقه المستشرقون الى ذلك دون جدوى ، كما أن اعتناقه للدين المسيحي لن يكون ذا خطر ، اذ رأى أنه لن يتبعه أحد من مسلمي الهند ، ولذلك أخذ يظهر مبادئه

(١) كان أحمد عرابي قائدا عسكريا من تلاميذ جمال الدين الافغانى وأنه ثار في وجه الخديو « توفيق » وأعجب بمحاضرات السيد وتلقياته لاصلاح الشعب المصري للمطالبة بالحقوق العامة للشعب .

الفلسفة الجديدة وهو المذهب الطبيعي والالحاد ، وطفق يدعو اليه فتبعه بعض المسلمين تخلصا من واجبات الشرع ، وجريا وراء الشهوات ، ووجد الانجليز أن صاحبهم قد بدأ ينجح في التفرقة بين المسلمين ، فكرموه وساعدوه على فتح المدرسة التي ظنوا أنها ستكون أفضل وسيلة لاصطياد أولاد المسلمين لتربيتهم على الالحاد ، وعلى كل حال قد انتشر الالحاد في بلاد الهند . وبناء على ذلك بعث الاستاذ « مولوى محمد واصل » المدرس بمدرسة الفنون « بحيدر آباد » خطابا الى السيد جمال الدين الافغانى فى (١٩ محرم سنة ١٢٩٨ هـ ٢٢ ديسمبر سنة ١٨٨٠ م) هذا نصه (بعد رسوم المخاطبة) يقرع آذاننا فى هذه الايام صوت نيتشر . نيتشر وانه ليصل الينا من جميع الاقطار الهندية ، فمن الممالك الغربية والشمالية و (أودة) و (بنجاب) و (بنجاله) و (السند) (حيدر آباد الدكن) ، ولا تخلو بلدة أو قسبة من جماعة يلقبون بهذا اللقب ، وينمو عددهم على امتداد الزمان ، خصوصا بين المسلمين ، ولقد سألت أكثر من لاقيت من هذه الطائفة ما حقيقة النيتشرية ؟ وفى أى وقت كان ظهور النيتشريين ؟ وهل من قصد هذه الطائفة بمسلكها الجديد عندنا أن تقوم عماد المدنية ولا تعدو هذا المقصد ؟ أولها مقاصد أخرى ؟ وهل طريقته تنافى أصول الدين المطلق ؟ أو هى لا تعارضه بوجه ما ؟ وأى نسبة بين آثار هذا المشرب ، آثار مطلق الدين فى عالم المدنية والهيئة الاجتماعية الانسانية ؟ فان كانت هذه الطريقة من النحل القديمة فلم لم تنشر بيننا ؟ ولم لم تعهد لها دعاة الا فى هذه الاوقات ؟ وإن كانت جديدة فما الغاية من احداثها ؟ وأى أثر يكون عن الاخذ بها ؟ ولما لم يفدنى أحد عما سألت بجواب شاف كاف ، فانى أتمس من جنابكم العالى أن تشرحوا حقيقة النيتشرية والنيتشريين بتفصيل ينقح الغلة ويشفى العلة والسلام .

« جواب السيد جمال الدين ورده على الدهريين »

لما كانت اجابة السيد على الرسالة السابقة تشتمل على أهم الاستدلالات فى الرد على الدهريين ، فانى أريد أن أذكر نصوص السيد فى هذا المجال ، لكى نفهم درجة علمه وفهمه ، ونستفيد من أفكاره ، واليك هذه الاجابة :

النيتشر اسم للطبيعة ، وطريقة النيتشر هى تلك الطريقة الدهرية، التى ظهرت ببلاد اليونان فى القرن الرابع والثالث قبل ميلاد المسيح ،

ومقصد أرباب هذه الطريقة محو الأديان، ووضع أساس الإباحة والاشتراك في الأموال والأبضاع بين الناس عامة ، وقد كدحوا لأجراء مقصدهم هذا ، وبالفرا في السعى اليه ، وتلونوا لذلك في ألوان مختلفة ، وتقلبوا في مظاهر متعددة ، وكيفما وجدوا في أمة أفسدوا أخلاقها ، وعاد عليهم سعيهم بالزوال ، وأيما ذاهب ذهب في غور مقاصد الأخذين بهذه الطريقة ، تجلى له أن لا نتيجة لمقدماتهم سوى فساد المدنية ، وانتقاض بناء الهيئة الاجتماعية الانسانية ؛ اذ لا ريب في أن الدين مطلقا هو سلك النظام الاجتماعي ، ولن يستحكم أساس للتمدن بدون الدين البتة ، وأول تعاليم هذه الطائفة اعدام الأديان ، وطرح كل اعتقاد ديني ، وأما عدم شيوع هذه الطريقة وقلة سالكيها مع طول الزمن على نشأتها ، فسببه أن نظام الألفة الانسانية وهو من آثار الحكمة الالهية السامية كانت له الغلبة على أصولها الواهية ، وشريعته الفاسدة ، وبهذا السر الالهى انبعثت نفوس البشر لمحو ما ظهر منها ، ومن هذا لم يبق لهم ثبات قدم ، ولم تقم لهم قائمة أمر وفي وقت من الأوقات . ولتفصيل ما ذكرنا نتقدم لإنشاء رسالة صغيرة أرجو أن تكون مقبولة عند العقل الغريزي ، لذلك الصديق الفاضل ، وأن تنال من ذوى العقول الصافية نظرة الاعتبار . وقد كتب السيد في رسالته بعد الخطبة وبعد بحث المقدمات ما يأتي : « أثبت ثقات المؤرخين أن حكماء اليونان انقسموا في القرن الرابع والثالث قبل المسيح الى فئتين (١) : ذهبت احدهما الى وجود ذات مجردة عن المادة والمدة مخالفة للمحسوسات في لوازمها ، منزهة من لواحق الجسمانية وعوارضها ، وأثبتت أن سلسلة الموجودات مادية ومجردة ، تنتهى الى موجود مجرد واحد من جميع الوجوه ، مبرا الذات عن التأليف والتركيب ، ومحال عند العقل تصور التركيب فيه ، وجوده عين حقيقته ، وحقيقته عين وجوده ، وهو المصدر الاول والموجود الحقيقي ، والمبدء لجميع الكائنات مجردة كانت أو مادية . واشتهرت هذه الطائفة بالمثاليين (الحاضعين لله) ومنهم «فيثاغورث» و «سوقراط» و «افلاطون» و «أرسطو» ومن أهل مذهبهم كثير ، وذهبت أخرى الطائفتين الى نفى كل موجود سوى المادة والماديات ، وان وصف الوجود مختص بما يدرك بالحواس الخمس ، لا يتناول شيئا وراءه ، وعرفت هذه الطائفة بالماديين : ولما سئلوا عن منشأ الاختلاف في صور

(١) المعروف أن أكثر هؤلاء الحكماء كانوا يعيشون في القرنين السادس والسابع قبل المسيح . انظر حياة هؤلاء الفلاسفة في ج - ١ - كتاب الفلسفة الاغريقية تأليف الدكتور محمد غلاب .

المواد وخواصها ، والتنوع الواقع في آثارها ، نسبه الأقدمون منهم الى طبيعتها ، واسم الطبيعة في اللغة الفرنسية «ناتور» Nature وفي الانجليزية «نيتشر» ولهذا اشتهرت هذه الطائفة عند العرب بالطبيين وعند الفرنسيين باسم « نتوراليست » أو « ماتيرياليست » الاول من حيث هي طبيعية والثاني من حيث هي مادية، ثم اختلف هؤلاء بعد اعتماد أصلهم هذا في تكوين الكواكب ، وتصوير الحيوانات ، وانشاء النباتات ، فذهب فريق منهم الى وجود الكائنات العلوية والسفلية ونشأة المواليد على ما نرى ، انما هو من الاتفاق واحكام المصادفة ، وعلى ذلك فان اتفاق ينشأها ، واحكام نظامها لا منشأ له الا المصادفة ، كأنما أدت بهم سخافة الفهم الى تجويز الترجيح بلا مرجح ، وقد أحالته إنداهة العقل .

ورأس القائلين بهذا القول : (ديمقراطيس) وهو يرى أن العالم أجمع إرضيات وسماويات مؤلف من أجزاء صغار وصلبة متحركة بالطبع ، ومن حركتها هذه ظهرت أشكال الأجسام وهيئاتها بقضاء العناية المطلقة ، وذهب فريق آخر الى أن الأجرام السماوية والكرة الأرضية كانت على هيئاتها هذه أزل الأزل ولا تزال ، ولا ابتداء لسلسلة النباتات والحيوانات. وزعموا أن في كل بذرة نباتا مندمجا فيها ، وفي كل نبات بذرة كامنة ، ثم في هذه البذرة الكامنة نبات وفيه بذرة الى غير نهاية ، وعلى هذا زعموا أن في كل جرثومة جرثومة أخرى يذهب كذلك الى غير نهاية . وغفل أصحاب هذا الزعم عما يلزمه من وجود مقادير غير متناهية في مقدار امتناه وهو من المحالات الاولى .

وزعم فريق ثالث أن سلسلة النباتات والحيوانات قديمة بالنوع كما أن الأجرام العلوية وهيئاتها ، قديمة بالشخص ، ولكن لا شيء من جزئيات الجراثيم الحيوانية والبذور النباتية بقديم ، وانما كل جرثومة وبذرة هي بمنزلة قالب يتكون فيه ما يشاكله من جرثومة وبذرة أخرى ، وفاتتهم ملاحظة أن كثيرا من الحيوانات الناقصة الحلقة قد يتولد عنها حيوان تام الحلقة ، كذلك الحيوان التام الحلقة قد يتولد عنه ناقصها او زائدها (١) .

ومال جماعة منهم الى الإبهام في البيان ، فقالوا : ان أنواع النباتات والحيوانات تقلبت في أطوار وتبدلت عليها صور مختلفة بمرور الزمان وكرر الدهور ، حتى وصلت الى هيئاتها وصورها المشهودة لنا . وأول

(١) لكن يرد على هذا الجواب : أن النقصان في البعض والكمال في البعض الآخر يمكن أن يكون بواسطة الشرائط الخارجية ، لا من نفس الجرثومة والبذرة التي بمنزلة القالب يتكون فيه ما يشاكله
= (*)

«النازعين الى هذا الرأى » ايبيقور « (١) أحد اتباع « ديوجينيس الكلبي »
ومن مزاعمه : أن الانسان فى بعض أطواره كان مثل الخنزير ، مستور
البشرة بالشعر الكثيف ، ثم لم يزل ينتقل من طور الى طور حتى وصل
بالتدريج الى ما نراه من الصورة الحسنة والخلق القويم . ولم يقم دليلا
ولم يستند على برهان فيما زعمه من أن مرور الزمان علة تبدل الصور
وتترقى الأنواع .

ولما كشف علم الجيولوجيا (طبقات الارض) عن بطلان القول بقدم
الانواع ، رجع المتأخرون من الماديين عنه الى القول بالحدوث ثم اختلفوا فى
بحثين :

الاول بحث تكون الجراثيم النباتية والحيوانية ، فذهبت جماعة الى أن
جميع الجراثيم على اختلاف أنواعها ، تكونت عندما أخذ التهاب الارض فى
التناقص ، ثم انقطع التكون بانقضاء ذلك الطور الأرضى .

وذهبت أخرى الى أن الجراثيم لم تزل تتكون حتى اليوم خصوصا فى
خط الاستواء حيث تشتد الحرارة . وعجزت كلتا الطائفتين عن بيان
السبب لحياة تلك الجراثيم : حياة نباتية او حيوانية خصوصا بعد ما تبين
لهم أن الحياة فاعل فى بسائط الجراثيم ، موجب لالتئامها ، حافظ لكونها ،
وأن قوتها الغذائية هى التى تجعل غير الحى من الأجزاء حيا بالتغذية ،
فإذا ضعفت الحياة ضعف تماسك البسائط وتجاذبتها ثم صارت الى
الانحلال .

وظن قوم منهم أن تلك الجراثيم كانت مع الأرض عند انفصالها عن
كرة الشمس ، وهو ظن عجيب لا ينطبق على أصلهم ، من أن الأرض عند
الانفصال كانت جذوة نار ملتهبة . وكيف لم تحترق تلك الجراثيم ولم
تمح صورها فى تلك النيران المستعرة ؟

والبحث الثانى من موضع اختلافهم صعود تلك الجراثيم من حضيض
نقصانها الى ذروة كمالها ، وتحولها من حالة الخداج « النقص » الى ما نراه

== (*) الحق فى الجواب أن يسأل من أين حصل ذلك الاستعداد فى الجرثومة والبذرة ؟
فاذن لا يصح أن يقال حصل من الجرثومة والبذرة لان للسائل أن يسأل : ان
الجرثومة والبذرة من علة ايجادها ؟ فحينئذ لا يمكن أن يقال : علة الجرثومة
والبذرة نفسها ، لانه يلزم أن يكون الشيء علة لنفسه . فنضطر الى القول بالعلة
الخارجية ، وهذه العلة الخارجية ينتهى السير فى تعقلها الى القول بدات واجب
الوجود . . هو الله تعالى .
«سعيد أفغانى»

(١) ولد ايبيقور سنة ٣٢١ قبل الميلاد وتوفي سنة ٢٧٠ قبل الميلاد .

من الصور المتقنة ، والهيئات المحكمة والبنى الكاملة . فمنهم قائل بأن لكل نوع جرثومة خاصة به ، ولكل جرثومة طبيعة تميل بها الى حركة تناسبها في الاطوار الحيوية ، وتجذب اليها ما يلائمها من الأجزاء غير الحية ، ليصير جزءا لها بالتغذية ثم تجلوه بلباس نوعه . . وقد غفلوا عما أثبتته التحليل الكيماوى من عدم التفاوت بين نطفة الانسان، ونطفة الثور ، والحمار مثلا، وظهور تماثل النطف في العناصر البسيطة . فما منشأ التخالف في طبائع الجراثيم مع تماثل عناصرها ؟

ومنهم من قد ذهب الى أن جراثيم الأنواع كافة خصوصا الحيوانية متماثلة في الجوهر متساوية في الحقيقة ، وليس بين الأنواع تخالف جوهرى ولا انفصال ذاتى ومن هذا ذهب صاحب هذا القول الى جواز انتقال الجرثومة الواحدة من صورة نوعية الى صورة نوعية أخرى ، بمقتضى الزمان والمكان ، وبحكم الحاجات والضروريات وقضاء سلطان القواصر الخارجية .

ورأس القائلين بهذا القول « داروين » وقد ألف كتابا فى بيان : أن الانسان كان قردا . . ثم عرض له التنقيح والتهذيب فى صورته حتى ارتقى الى برزخ (أوران أوتان) ثم ارتقى من تلك الصورة الى أول مراتب الانسان ، فكان صنف اليميم وسائر الزنوج ، ومن هناك عرج بعض أفرادهم الى أفق اعلى وأرفع من أفق الزنجيين فكان الانسان القوقازى . وعلى زعم « داروين » هذا يمكن أن يصير البرغوث فيلا بمرور الزمان وكر الدهور ، وأن ينقلب الفيل برغوثا كذلك ، فان سئل « داروين » عن الأشجار القائمة على غابات الهند والنباتات المتولدة فيها من أزمان بعيدة لا يحددها التاريخ الاظنا ، وأصولها تضرب فى بقعة واحدة ، وفروعها تذهب فى هواء واحد ، وعروقها تسقى بماء واحد ، فما السبب فى اختلاف كل منها عن الآخر فى بنيته ، وشكل أوراقه ، وطوله وقصره ، وضخامته، ورقته ، وزهره ، وثمره ، وطعمه ورائحته ، وعمره ، فأى فاعل خارجى أثر فيها حتى خالف بينها مع وحدة المكان والماء والهواء ؟ أظن لا سبيل الى الجواب سوى العجز عنه !!

وان قيل له : هذه أسماك بحيرة « أورال » وبحر « كسين » مع تشاركها فى المأكول والمشرب ، وتسابقها فى ميدان واحد ، نرى فيها اختلافا نوعيا ، وتباينا بعيدا ، فى الألوان والأشكال والأعمال ، فما السبب فى هذا التباين والتفاوت ؟ لا اراه يلجأ فى الجواب الا الى الحصر . (وهكذا لو عرضت عليه الحيوانات المختلفة البنى والصور والقوى والخواص وهى تعيش فى منطقة واحدة ، ولا تسلم حياتها فى

سائر المناطق ، أو الحشرات المتباينة فى الحلقة المتباعدة التركيب المتولدة فى بقعة واحدة ولا طاقة لها على قطع المسافات البعيدة لتجلى الى « تربة » تخالف تربتها ، فماذا تكون حجته فى علة اختلافها كأنها تكون كسفا لا كسفا ؟ بل اذا قيل له : أى هاد همدى تلك الجراثيم فى نقصها وخداجها ؟ وأى مرشد أرشدها الى استتمام هذه الجوارح والأعضاء الظاهرة والباطنة ، ووضعها على مقتضى الحكمة وإبداع كل منها قوة على حسبه ، ونوطها بكل قوة فى عضو أداء وظيفة وإيفاء عمل حيوى مما عجز الحكماء عن درك سره ، ووقف علماء الفسيولوجيا دون الوصول الى تحديد منافعه وكيف صارت الضرورة العمياء معلما لتلك الجراثيم وهاديا خيرا لطرق جميع الكمالات الصورية والمعنوية ؟ لا ريب أنه يقبع قبوع القنفذ وينتكس بين أمواج الحيرة يدفعه ريب ويتلقاه شك الى أبد الأبدى .

ثم كتب السيد « جمال الدين الأفغانى » ما يأتى : « ومن واهيات ما كان يرويه « داروين » من أن جماعة كانوا يقطعون أذنان كلابهم فلما واطبوا على عملهم هذا قرونا صارت الكلاب تولد بلا أذنان كأنه يقول : حيث لم تعد للذنب حاجة فكفت الطبيعة عن هبته . وهل صمت أذن هذا المسكين عن سماع خبر العبرانيين والعرب ، وما يجرونه من الختان الوفا من السنين ، ولا يولد مولود حتى يختن ، وإلى الآن لم يولد واحد منهم مختونا إلا لعجاز . ولما ظهر لجماعة من متأخري الماديين فساد ما تمسك به أسلافهم ، نبذوا آراءهم وأخذوا طريقا جديدة فقالوا : ليس من الممكن أن تكون المادة العارية عن الشعور مصدرا لهذا النظام المتقن والهيئة البديعة ، والأشكال المعجبة والصور الانيقة وغير ذلك ، مما خفى سره وظهر أثره ، ولكن العلة فى نظام الكون علوية وسفلية ، والموجب لاختلاف الصور والمقدر لأشكالها وأطوارها وما يلزم لبقائها : تتركب من ثلاثة أشياء : (متير) و (فورس) و (انتليجانس) أى مادة وقوة وإدراك وظنوا أن المادة بمالها من القوة ، وما يلبسها من الإدراك ، تجلت وتتجلى بهذه الأشكال والهيئات ، وعندما تظهر بصورة الأجساد الحية نباتية كانت أو حيوانية تراعى بما يلبسها من الشعور ما يلزم لبقاء الشخص ، وحفظ النوع ، فتنشئ لها من الأعضاء والآلات ما يفى بأداء الوظائف الشخصية والنوعية ، مع الالتفات الى الأزمنة والامكنة والفصول السنوية . هذا أنفس ما وجدوا من حيلة لمذهبهم العاطل بعد ما دخلوا ألف جحر ، وخرجوا من ألف نفق ، وما هو بأقرب الى العقل من سائر أوهامهم ، ولا هو بالمنطبق على

سائر أحوالهم ، فانهم يرون كسائر المتأخرين أن الأجسام مركبة من الأجزاء الديمقراطيةية ، ولا ينطبق رأيهم الجديد في علة النظام الكونى على رأيهم في تركيب الأجسام ، وذلك لأنه يلزم على القول بشعور المادة أن يكون لكل جزء ديمقراطيسى شعور خاص ، كما يلزم أن تكون له قوة خاصة ينفصل بهما عن سائر الأجزاء ، اذ لا يمكن قيام العرض الواحد وحدة شخصية بمحلين ، فلا يقوم علم واحد بجزئين ولا بأجزاء ..

وبعد هذا فانى أسألهم ، كيف اطلع كل جزء من أجزاء المادة مع انفصالها على مقاصد سائر الأجزاء ؟ وبأية آلة أفهم كل منها باقيةا ما ينويه من مطلبه؟ وأى برلمان (مجلس الشورى) أو أى سنات (مجلس الشيوخ) عقدت للتشاور في ابداع هذه المكونات العالية التركيب البديعة التأليف ؟ وأنى لهذه الأجزاء أن تعلم وهى فى بيضة العصفور ضرورة ظهورها فى هيئة الطير يأكل الحبوب ، فمن الواجب أن يكون له منقار وحوصلة ، لحاجته فى حياته إليها ، واذا كانت فى بيض الشاهين والعقاب فمن أين لها العلم بأنها تقوم طيرا يأكل اللحوم ، فلا بد له من منسر ومخلب يصول بهما فى الصيد لاقتناص ما يحتاج اليه من حيوان ، ثم ينسر لحمه ليأكله ، ومن أين لها أن تعلم وهى فى مشيمة الكلبة أنها ستكون على صورة أنثى الجرو ، ثم تكبر حتى تبلغ حد الادراك ، ثم تكون حبلى لوقت من الاوقات وقد تلد جراء « متعددة » فى زمن واحد ، فهى تهيب لطبيها حلما كثيرة على حسب حاجة جرائها . ومن لهذه الأجزاء المتبددة أن تدرك حاجة الحيوانات الى القلب والرئة والمخ والمخيخ وسائر الأعضاء والجوارح ؟

لو عقلت هذه الطائفة ما رمى اليه سؤالى هذا لارتكست فى أفكارها ، وانقلبت الى تهور من الحيرة لا ترفع منه رأسا ، ولا تحين جوابا الى أن يتخبطهم شيطان الجهل فيقولون ولا يعون : « ان لكل جزء من هذه الاجراء الديمقراطيةية علما بجميع ما كان وما يكون ، وبجميع ما فى العالم من الأجزاء - علويا كان أو سفليا - ولكل منها حرص على مراعاة نظام الكون ، واركانه فيتحرك كل منها للانضمام الى الآخر على وفق ما يريد من المصلحة ، حتى لا يقع الخلل فى شىء من نظام العالم عاما كان أو خاصا ، وبهذا قام العالم على ناموس واحد » فان أفضت بهم العماية الى هذا القول قلنا :

اولا : يلزمهم أن كل جزء ديمقراطيسى يحتوى على أبعاد غير متناهية، وهو فى صغره لا يدرك ولا بالميكروسكوب « النظارة المعظمة » وبيان.

اللزوم أن العلم عندهم إنما هو بارتسام الصور المعلومة في ذات العالم ، وهو مادي في موضوعنا فكل صورة معلومة تأخذ منه بعدا بمقدارها ، والصورة العلمية على هذا الزعم غير متناهية ، وكلها يرسم في مادة الجزء ، فيكون في كل جزء وهو متناه إلى غاية الصغر أبعاد غير متناهية للصور غير المتناهية ، وهذا مما تبطله بداهة العقل .

ثانيا : أن كانت الأجزاء الديمقراطيةية باللغة من العلم هذا المبلغ ، وهى من القوة على نحوه ، إذ لا قوة إلا بها على رأيهم ، فلماذا لم تبلغ الكائنات وهى هى بنفسها غاية ما يمكن لها من الكمال ؟ ولم تنزل بدواتها الآلام والأوصاب ثم تعاني العناء في احتمالها أو التخلص منها ؟ ولماذا قصر ادراك الانسان وادراك سائر الحيوانات - وهو عين ادراك هذه الأجزاء - على هذا المذهب عن اكتناه حال أنفسها وعجز عن حفظ حياتها ؟

وأعجب من هذا أن المتأخرين من الماديين بعد ما صافحوا كل خرافة لتأييد مذهبهم حاصوا (١) إلى الحيرة في بعض الأمور فلم يستطيعوا تطبيقها على أصل من أصولهم الفاسدة : لا أصل الطبع ولا أصل الشعور ، وذلك عندما رأوا شيئين يختلفان في الخواص وعناصرهما تظهر عند التحليل متماثلة ، ولم يجدوا المحيص عن الوقفة بعد ما قدموا من الترهات إلا بالحكم على الأجزاء الديمقراطيةية رجما بالفيب بأنها ذوات أشكال مختلفة ، وعلى حسب الاختلاف في الأشكال والأوضاع كان الاختلاف في الآثار والخواص . وبالجمله فهذه عشرة مذاهب اختلف إليها منكرو الألوهية الزاعمون أن لا وجود للصانع الاقدس ، وهم المعروفون بين شيعهم أو عند الالهيين بالطبيعيين والماديين والدهريين وان شئت قلت : نيتشريين وناطور اليسمين وماتير اليسمين » (٢) .

ذكر الاستاذ « صلاح الدين » السلجوقى في مقدمة على كتاب الرد على الدهريين (٣) عشرة أصناف من الدهريين الذين رد السيد جمال الدين الافغانى عليهم :

الأبيقوريون

الارتقائيون

(١) حاص منه : مدل وحاد وبابه باع ويقال «ماينه محيص» أى محيد ومهرب .

(٢) من كتاب الرد على الدهريين ص ٣٤ - ٤٩ مكتبة العقائد - الناشر دار الكرنك .

(٣) ص ١٧ - ١٨ .

المزديكيون

الشيوعيون

الباطنيون

أتباع فولتير وجان جاك روسو

الحكام المنحرفون في الدولة العثمانية

النفعيون

مورومون

الخونة والمدلسون والمرتشون والمراءون في الشرق .

يظهر من هذا أن السيد جمال الدين له دقة العلم والفلسفة وأنه وصل من طريق الاستدلال إلى إبطال مذاهب الدهريين ومزاعمهم كما يثبت أن السيد جمال الدين موحد وعقيدته لا كعقيدة توحيد المقلدين بل كعقيدة الفلاسفة المتقنين وأنه يعرف مسألة عقيدة التوحيد التي جاءت في الإسلام حق المعرفة وأنه درس دين الإسلام وسائر الأديان والمذاهب والمسالك درساً دقيقاً .

« ما أفاد الدين من العقائد والخصال »

ثم كتب السيد جمال الدين الأفغاني في رسالته الموسومة بـ « الرد على الدهريين » ما يأتي :

أكسب الذين عقول البشر ثلاث عقائد ، وأودع نفوسهم ثلاث خصال ، كل منها ركن لوجود الأمم ، وعماد لبناء هيئتها الاجتماعية ، وأساس محكم لمدينتها ، وفي كل منها سائق يحث الشعوب والقبائل على التقدم لغايات الكمال ، والرقى إلى ذروة السعادة ، وفي كل واحدة وازع قوى يباعد النفوس عن الشر ، ويردها عن مقارفة الفساد ، ويصدها عن مقاربة ما يبئدها ويبددها .

العقيدة الأولى : التصديق بأن الإنسان ملك أرضي وهو أشرف المخلوقات .

العقيدة الثانية : يقين كل ذي دين بأن أمته أشرف الأمم ، وكل مخالف له فعلى ضلال وباطل .

العقيدة الثالثة : جزمه بأن الانسان انما ورد هذه الحياة الدنيا لاستحصال كمال يهيئه للعروج الى عالم أرفع وأوسع من هذا العالم الدنيوى ، والانتقال به من دار ضيقة المساحات ، كثيرة المكروهات جديرة بأن تسمى (بيت الأحزان) وقسرار الآلام ، الى دار فسيحة المساحات ، خالية من المؤلمات ، لا تنقضى سعادتها ولا تنتهى مدتها . ولا يفغل العاقل عما يتبع هذه العقائد الثلاث من الآثار الجلييلة فى الاجتماع البشرى ، والمنافع الجمة للمدنية الصحيحة ، وما يعود منها بالاصلاح على روابط الامم ، وما لكل واحدة من الدخل فى بقاء النوع والميل بأفراده ، لأن يعيش كل منهم مع الآخر بالمسالمة والمواودة ، والأخذ بهمم الأمم للصعود فى مراقى الكمال النفسى والعقلى . ثم بعد هذا يذكر السيد جمال الدين الأفغانى لكل عقيدة لوازم وخواص ويشرحها شرحا وافيا .

« الخصال الثلاث »

وأما الخصال الثلاث التى توارثتها الأمم من تاريخ قد لا يحسد قدما وانما طبعها فى نفوسهم طابع الدين .

فأحداها : خصلة (الحياء) : وهو انفعال النفس من اتيان ما يجلب اللائمة ، وينحى عليها بالتوبيخ وتأثرها من التلبس بما يعد عند الناس نقصا . ويذكر لهذه الخصلة تأثيرها وضرورة الاجماع بالحفظ عليها .

والخصلة الثانية (الأمانة) : ومن العلوم الجلى أن بقاء النوع الإنسانى قائم بالمعاملات ، والمعارضات فى منافع الأعمال ، وروح المعاملة والمعارضة انما هى الأمانة ، فان فسدت الأمانة بين المتعاملين بطلت صلات المعاملة ، وانبترت حبال المعارضة ، فاختل نظام المعيشة ، وأفضى ذلك بنوع الانسان الى الفناء العاجل . وبعد هذا ذكر السيد احتياج المجتمعات لخصلة الأمانة فقال : فقد كشف الحق أن الأمانة دعامة بقاء الانسان ، ومستقر أساس الحكومات ، وباسط ظلال الامن والراحة ، ورافع ابنية العز والسلطان ، وروح العدالة وجسدها ، ولا يكون شئ من ذلك بدونها .

الخصلة الثالثة (الصندق) : وقد شرح السيد الضرورة لهذه الخصلة اكمل الشرح . وقد كتب بعد هذا : هؤلاء ججدة الألوهية فى أى أمة وبأى لون ظهوروا كانوا يسعون ولا يزالون يسعون لقلع أساس هذا القصر المسدس الشكل ، قصر السعادة الانسانية القائم بسنينة

جدران ، ثلاث عقائد ، وثلاث خصال . أعاصير أفكارهم تدك هذا البناء الرفيع ، وتلقى بهذا النوع الضعيف الى عراء الشقاء ، وتهبط من عرش المدنية الانسانية الى أرض الوحشة الحيوانية . (١)

**« بيان مظاهر الماديين
ومقاصدهم والمفاسد
التي جلبها « الماديون »
على نظام المدنية »**

ذكر السيد جمال الدين الأفغانى فى رسالته (الرد على الدهريين) المفاسد التى جلبها « الماديون » على نظام المدنية ومظاهر الماديين ومقاصدهم . بهذا النص : تخالف مظاهر الماديين فى الأهم والاجيال المختلفة فتخالفت أسماؤهم ، فكانوا تارة يسمون أنفسهم بسمات الحكماء وينتحلون « الحكيم » لقبا لأفرادهم ، وأحيانا كانوا يتسمون بسيما (دافع الظلم ورافع الجور) . وكثيرا ما تقدموا لمسارح الانظار تحت لباس عراف الأسرار وكشفة الحقائق والرموز ، والواصلين من كل ظاهر الى باطنه ، ومن كل بارز الى كامنه ، وقد كانوا يظهرون فى أوقات بدعوى السعى فى تطهير الأذهان من الخرافات ، وتنوير العقول بحقائق المعلومات ، وتارة يتمثلون فى صور محبى الفقراء ، وحماة الضعفاء ، وطلاب خير المساكين . وكثيرا ما تجرموا على دعوة النبوة ولكن لاعلى سنن سائر المتنبيين الكذبة كل ذلك توسلا لاجراء مقاصدهم وترويج مفاسدهم . كيفما ظهر الماديون وفى أى صورة تمثلوا وبين أى قوم نجموا كانوا صدمة شديدة على بناء قومهم ، وصاعقة مجتاحة لثمار أممهم ، وصدعا متفاقما فى بنية جيلهم ، يميئون القلوب الحية بأقوالهم ، وينفثون السم فى الأرواح بأرائهم ، ويزعزعون راسخ النظام بمساعيهم . فما رزئت بهم أمة ولا منى بشرهم جيل الا انتكث قتله ، وسقط عرشه ، وتبددت آحاد الأمة ، وفقدت قوام وجودها .

ثم ذكر السيد جمال الدين الأفغانى حال اليونان ، والأمة الفارسية ، والشعب الفرنسى ، والأمة العثمانية ، قبل ظهور الماديين والدهريين فيهم ، وعروجهم وحالهم بعد ظهور الماديين والدهريين فيهم ونزولهم .

(١) من كتاب الرد على الدهريين ص - ٥١ - ٦٢ . مكتبة العقائد - الناشر دار الكرنك .

ويكتب السيد تحت عنوان (حال الأمة الاسلامية) : الأمة الاسلامية جاءت بها الشريعة المحمدية والديانة السماوية فأشربت قلوبها بتلك العقائد الجليلة ، ومكنت في نفوسها تلك الصفات الفاضلة ، وشمل ذلك آحادهم ، ورسخت بينهم تلك الاصول الستة (١) بدرجة يقصر القلم دون التعبير عنها ، فكان من شأنهم أن بسطوا سلطانهم على رؤوس الأمم من جبال الألب الى جدار الصين في قرن واحد ، وحثوا تراب المذلة على رؤوس الأكاسرة والقيصرة ، مع أنهم لم يكونوا الا شرذمة قليلة العدة نذر العدد ، ولم ينالوا هذه البسطة في الملك والسلطة في السلطان الا بما حازوا من العقائد الصحيحة والصفات الكريمة ، هذا الى ما جذبته مغناطيس فضائلهم من مائة مليون دخلوا في دينهم في مدة قرن واحد ، من أمم مختلفة ، مع أنهم كانوا يخبرونهم بين الاسلام وشيء زهيد من الجزية لا يثقل على النفوس أداؤه . هكذا كان حال هذه الأمة الشريفة من العزة ومنعة السلطان .

« دهريو الشرق »

وذكر السيد حال دهريي الشرق فكتب ما يأتي :

أما منكرو الالوهية أعنى الدهريين الذين ظهروا في لباس المهلبين ، ولونوا ظواهرهم بصبغ المحبة الوطنية ، وزعموا أنفسهم طلاب خير الأمة ، فصاروا بذلك شركاء اللص ورفقاء القافلة ، ثم تجلوا في أعين الأغبياء حملة لاعلام العلم والمعرفة ، وبسطوا للخيانة بساطا جديدا ، وتولاهم الغرور بما حفظوا من كلمات قليلة ناقصة غير تامة الافادة ، مسروقة من أوهام المبطلين ، وقتلوا سبيلهم (٢) كبرا وعلوا ، ولقبوا أنفسهم بالهادين والادلاء ، وهم في أطباق جهل وارتاق غباوة ، وفي أهب دنس الرذائل ، ومسوك (٣) من قدر الذمائم ، فأولئك قوم قوى فيهم الظن بأن العقل وثمرته من المعرفة ينحصران في تبين وجوه القدر وتعرف طرق الاختلاس . واننى لفي خجل من ذكرهم ، يدافعنى الحياء عن رواية سيرهم وحكاية أعمالهم ، فان مقاصدهم من الدناءة

(١) التى اشار اليها السيد في مامر .

(٢) السبلة : ما على الشارب من الشعر والجمع السبال .

(٣) المسك بفتح الميم وسكون السين الجلد .

بحيث لا تخرج عن جيوبهم ، يسعون في اقتلاع أساس أمتهم لشهوة بطونهم ، يحددون شفارهم (١) لتقطيع روابط الالتئام بين بنى جنسهم .

وقد أثرت رسالة « الرد على الدهريين » على آراء المسلمين في الهند ، حتى أخرج كثير من الناس أبناءهم من المدرسة التي كان الانجليز قد اعدوها لهذا الغرض ، ورجع القوم الى العقيدة السليمة (٢) .

يظهر مما ذكرت من مباحث السيد « جمال الدين الأفغانى » في « الرد على الدهريين » أن السيد له دقة الفكر وسعة المعلومات ، وقوة التحليل في المسائل الكلامية والفلسفية العويصة وأنه لا شك أن من يتعمق في مباحث الرد على الدهريين يقر بأن السيد كان ينظر الى الانسان بنظر الكرامة ، ولا يرضى أن يحط منزلة الانسان الى القرد وهو يطلب من الانسان أن يكون متكئاً على المبادئ السامية وأن يعمل بالذات الإنسانية .

وكذلك يظهر أن المقصود الأعلى عند السيد في الحياة : الحياة ، والأمانة ، والصدق ، وأنه يسعى بإيمانه وبكرامته ودينه لاستحصال كمال يهيئه للعروج الى عالم أرفع وأوسع من هذا العالم الدنيوى ، وأنه يؤمن بأن الاعتقاد بالمبدأ الأقدس والارتباط بالروح ، والأخلاق السامية يرتقيان بالانسان الى مرتبة الملك الذى لا يعمل الشر بل يحب الخير ، ويزيد مافى الحياة من الخيرات ، كما أن العلاج الناجح عنده من المتاعب التي تلحق بالفرد والمجتمع هو تطهير القلب من الرذائل ، وتقويته بالطمأنينة وحسن المعاشرة والسلوك .

**« سفر السيد من الهند الى لندن ومنها الى باريس
واقامته فيها وغايته من تشكيل جمعية العروة
الوثقى ونشر جريدتها وخدماته الاجتماعية
والسياسية للعالم الاسلامى »**

ولما انتهت الثورة العربية في مصر ، واستقر الامر فيها للانجليز ، سمحوا « لجمال الدين » أن يسافر من « كلكتا » - لوشاء - لكن على ألا يتجه الى أى بلد إسلامى آخر ، اذ كانوا يخشون أن يفسد عليهم

(١) الشفرة : السكنى العريض .

(٢) من كتاب الرد على الدهريين ص ٤٩ - ٥٠ .

خططهم في الشرق الأوسط . فرغب السيد في السفر الى أوروبا ،
واتجه الى إنجلترا في أواخر سنة ١٨٨٢ م ، فصعد الى لندن لكن لم
تظل بها فترة اقامته ، ثم هبط منها الى باريس ، وكانت أكثر ملازمة
لنشر أفكاره ولمواصلة جهاده وكفاحه ضد الانجليز ، لتهييج الرأي العام
الاسلامي ، وتنبيهه الى الخطر المحدق به ، ولربما ظن أنه سيجد عوناً لدى
الفرنسيين لما كان بين فرنسا وإنجلترا في ذلك الحين من تنافس على
اقتسام أملاك الدولة العثمانية في مصر وشمال أفريقيا .

ولما استقر السيد في باريس أرسل الى محمد عبده يدعوهُ أن
يلحق به ، لكي يعاونه على متابعة الجهاد من أجل ايقاظ المسلمين ، وكان
محمد عبده قد حكم عليه بالنفي ثلاث سننوات ، بعد فشل ثورة
« أحمد عرابي » فغادر مصر في (١٣ صفر سنة ١٣٠٠ هجرية ٢٤ من
ديسمبر ١٨٨٢ ميلادية) واتجه الى بلاد الشام ، حيث نزل الى
« بيروت » وبدأ يرأسل أستاذه « بباريس » حتى انتهت المراسلة بسفره
اليها ، فحينما وصل الاستاذ الامام الى باريس اقترح في أول الأمر
على استاذ السيد جمال الدين أن يذهب الى مكان بعيد ، غير خاضع
لسلطان دولة تعرقل سيرهما ، ثم ينشأ فيه مدرسة للزعماء ، يختاران
لها التلاميذ من نجباء الناشئين من الأقطار الاسلامية ، ومن يتوسمان
فيهم الخير ، ثم يربيانهم على منهج قوي يختارانه ، ويعدانهم للزعامة
والاصلاح ، وبعد عشر سنين تخرج المدرسة عددا من التلاميذ المستعدين
لترك أوطانهم ، والسير في الأرض لنشر الاصلاح المطلوب . ولكن هذا
الرأي لم يعجب جمال الدين الأفغاني ، ورأى فيه خورا في العزيمة ،
ومبالغة في التشاؤم وقال لمحمد عبده : « انما أنت مشبط » (١) (أي
معوق) وكان رأى السيد أن الانتظار الى الاصلاح بعد عشر سنين أمر
يعوقنا عما يلزمنا أن نعمل ، ويجب علينا أن نطبقه في العصر الحاضر .
وكان السيد يرى أن مع عملية الدرس والتدريس والتعليم والتربية،
يجب على المصلحين ألا يكونوا غافلين عن ايجابات العصر الراهن ،
واصلاحات سياسية وفورية ، لكي لا يفوت الوقت ، ولذلك اتفق
الشيخ محمد عبد مع أستاذه ، فاشتركا مع جماعة من أفاضل
مسلمى الهند ومصر في تأسيس جمعية اسلامية سميت « بجمعية
العروة الوثقى » ، وكانت هذه الجمعية سرية ، ولم يكن أصل قانونها
مكتوبا ، لكن تهدف الى اعادة عزة الاسلام ومجده ، وإلى العمل على

(١) من كتاب رشيد رضا للدكتور ابراهيم العدوي ص ٦٩ من سلسلة اعلام العرب .

تطهير عقائده مما شابها ، ولا يكون ذلك الا بعودة المسلمين الى ماكان عليه سلفهم في الصدر الاول ، وبخاصة في عهد الخلفاء الراشدين وكذلك كانت الجمعية تريد دعوة المسلمين الى الاتحاد والتضامن ، حتى يشد بعضهم أزر بعض .

وكانت لجمعية (العروة الوثقى) لائحة سرية ، اشتملت على أكثر من ثلاثين بندا (١) كان أهمها البنود الثلاثة الآتية :

١ - النظر في حال المسلمين واقوالهم وأعمالهم للوقوف على احساسهم الدينى والمعرفة بمقدار الدعاية الاعتقادية ، ليعلم الداء ويعالج بالدواء اللائق به .

٢ - العمل على الدواء بالقول والكتابة والتأليف .

٣ - أن يراعى في كل حالة تمكين الفكر وتأسيس الارتباط ، حتى يكون عند كل واحد أن مصلحة الكل بمنزلة مصلحة الشخص أو أعلى ، ولا يقبل قول من قائل حتى يكون عمله أزيد من قوله أو مساويا له ، وكان لأعضاء جمعية العروة الوثقى حلف وعهد .

ونص الحلف والعهد لأعضاء تلك الجمعية السرية «جمعية العروة الوثقى» كما يأتى (٢) : أقسم بالله العالم بالكلى والجزئى ، والجلي والخفى ، القائم على كل نفس بما كسبت ، الآخذ لكل جارحة بما اجتاحت ، لأحكم بكتاب الله فى أعمالى ، وأخلاقى ، بلا تأويل ولا تضليل . ولا أجيب داعيه فيما دعا اليه ، ولا أتقاعد عن تلبيته فى أمر ولا فى نهى ولأدعون لنصرتة ، ولأقومن بها ما مت حيا ، لا أفضل على الفوز بها مالا ولا ولدا .

أقسم بالله مالك بروحى ومالى ، القابض على ناصيتى ، المصرف لأحاسسى ووجدانى ، الناصر لمن نصره ، الخاذل لمن خذله ، لأبدلن ما فى وسعى لأخياء الأخوة الإسلامية ، لأنزلنها منزلة الأبوة والبنوة الصريحتين ، ولأعرفنها كذلك لكل من أرتبط برابطة « العروة الوثقى » ، وانتظم فى عقد من عقودها ، ولأراعينها فى غيرهم من المسلمين ، إلا أن يصدر عن أحد ما يضر بشوكة الاسلام ، فانى أبذل جهدى فى إبطال عمله المضر بالدين ، وأخذ على نفسى فى أثره مثل ما آخذ عليها فى المدافعة عن شخصى .

(١) تاريخ الشيخ محمد عبده ج ١ ص ٢٨٤ - ٢٨٧ .

(٢) من كتاب محمد عبده لامين عثمان ص (٧٢ - ٧٣) فى سلسلة اعلام الاسلام .

أقسم بهيبة الله وجبروته ألا أقدم إلا ما قدمه الدين ، ولا
أؤخر إلا ما أخره الدين ، ولا أسعى قدما واحدة اتوهم فيها ضررا
يعود على الدين جزئيا كان أو كليا ، وألا أخالف أهل العقد الذين ارتبطت
معهم بهذا اليمين في شيء يتفق رأي أكثرهم عليه ، وعلى عهد الله
وميثاقه أن اطلب الوسائل لتقوية الاسلام والمسلمين ، عقلا وقدرة ،
بكل وجه أعرفه . وما جهلته اطلب علمه من العارفين ، لا أدع وسيلة
حتى احيط بها بقدر ما يسعه امكاني (الوجودي) وأسأل الله نجاح
العمل ، وتقريب الأمل ، وتأيد القائم بأمره والناشر للواء دينه . آمين .

وهناك في باريس كتب السيد بمعاونة جمعية « العروة الوثقى »
جرائد العروة الوثقى وكان رئيس تحريرها الشيخ محمد عبده . وكان
يعاون الاستاذ محمد عبده في تحرير جريدة « العروة الوثقى » بباريس
رجل فارسى اسمه « مرزا محمد باقر » كان يترجم للجريدة المقالات
المهمة من الصحف الانجليزية ، ومرزا باقر هذا كان ذا حظ كبير من
الدكاء ، وسرعة الحفظ ، وقوة الذاكرة ، كان حافظا للكتاب المقدس ،
مستحضرا لآيات القرآن ، ملما بلفات كثيرة ، وكان مسلما فتنصر ،
وصار داعية للنصرانية مع جماعة من المبشرين ، وكان قد عرفه السيد
الأفغانى من قبل في « ثغر بوشير » في الخليج الفارسى ، وجادله مرة
فبدرت منه كلمة طعن في النبى صلى الله عليه وسلم ، فأمر السيد
جمال الدين من معه من الأفغانيين بضربه ، فضربوه ، وطرده ، فلما
عاد السيد جمال الدين الى باريس ، واشتغل مع الشيخ محمد عبده
بإصدار « العروة الوثقى » ، أرسل اليهما « مرزا باقر » بطاقة الاستئذان ،
فدخل وذكر ما كان من ارتداده عن دينه ، ثم عودته اليه ، وتكفيره عن
ذنبه بالدعاية للاسلام ، وعرض على السيد استعداداه لخدمته في ادارة
جريدة « العروة الوثقى » فاشتغل فيها مترجما عن اللغة الانجليزية ،
التي كان يتقنها نشرا ، ونظما ، ولما ذهب الشيخ محمد عبده من
« باريس » الى لندن ، لمحادثة رجال السياسة الانجليزية ، في المسألة
المصرية ، سافر معه (مرزا باقر) ليكون مترجما بينه وبينهم . (١)

وكان ممن يترددون على ادارة « العروة الوثقى » يهودى مصرى ،
يدعى « يعقوب صمنوع » ، واسمه المستعار « أبو نضارة » وهو من

(١) من كتاب اعلام الاسلام . محمد عبده - لعثمان أمين ص ١٦ - ٧٧ - ٧٨ .

الشخصيات الجذابة حقاً ، وقد قام بنصيب لا يستهان به فى تاريخ
القضية المصرية (١)

وقد صدر العدد الاول من جريدة العروة الوثقى فى (٥ جمادى
الاولى سنة ١٣٠١ هجرية ١١ مارس سنة ١٨٨٤ ميلادية) ثم احتجبت
عن الظهور فى (شهر ذى الحجة سنة ١٣٠١ هـ) بسبب محاربة
الانجليز لها ، وكان ما صدر من هذه الجريدة ثمانية عشر عدداً ، وقد
لخصت الجمعية أهدافها فى العدد الاول من جريدتها وهى هذه المبادئ :

١- ستضع الجمعية نفسها فى خدمة الشرقيين عامة ، فتبين
لهم الواجبات التى يجب عليهم القيام بها ، والتى كان التفريط فيها
سبباً فى تدهورهم ، وتوضح الطرق التى يجب اتباعها لتدارك الاخطاء
الماضية ، ولتجنب الصعاب والأخطار فى المستقبل .

٢ - ستبحث معهم الاسباب والعلل التى أدت الى ضعفهم ،
وفى طبيعتها تفريطهم فى تعاليم دينهم .

٣ - وستكشف الغطاء عن الشبه التى شغلت أوهام المترفين
وتزيح الوسائس التى سيطرت على عقول المنعمين ، مما أدى الى
اليأس من الاصلاح والقنوط من تلافى الاخطاء الماضية .

٤ - وستحاول أن تحيى الأمل فى النفوس ، وتبين أن طريق
النهوض ليس بالصعوبة المتوهمة التى توجب فتور الهمة أو خور
العزيمة .

٥ - ستبذى اهتماماً خاصاً بالرد على التهم التى توجه الى
الشرقيين عامة والمسلمين بصفة خاصة ، وستعنى بتنفيذ المفتريات

(١) كان يعقوب صنوع أول أمره يمثل فى مصر قطعاً مسرحية فيها شيء من الثورة على
القديم ، وإن كانت فى قالب هزل وكان الخديو اسماعيل يعجب بها ، ويلقبه
« بموليير مصر » ، وإلى جانب هذا كان « صنوع » يصدر فى مصر عام ١٨٧٧ م جريدة
هزلية اسبوعية اسمها « أبو نضارة » ، كانت تنشر باللغة العامية المصرية ، وقد
لقيت بين طبقات الشعب اقبالا ، لكن الخديو اسماعيل ضاق بها ذرعاً ، لما
كانت تحوى من نقد جرىء وتهكم لاذع فأمر بنفيه من مصر ، فلجأ « أبو نضارة »
الى فرنسا ، وثابر على إصدار جريدته بأسماء مختلفة ، متابعاً حملاته على
الخديو ، ورجاله ، وعلى الحكومة ، وقناصر الدول الأوروبية ، الى أن كانت
سنة ١٨٨٢ م ، فأخذ « أبو نضارة » يندد بالاحتلال الانجليزى ، معددا سيئاته
منادياً بحق مصر فى الحرية والاستقلال ، ويعقوب صنوع كتب فى خطبه ومقالاته
لمصر زهاء ٣٤ عاماً .

التي يزعم قائلوها بأن المسلمين لن ينهضوا أبدا ماداموا متمسكين بأصول دينهم .

٦ - وستوالى الجريدة اطلاع الشرقيين على الاحداث العالمية واسرارها ، ليحيطوا علما بما يدبره السياسيون الاوروبيون ، وما يبيتونه لهم ولكي يعلموا في أى عالم يعيشون حتى لا يقعوا في شرك الدعايات المفترضة .

٧ - وأخيرا ستعمل الجريدة على تقوية الصلات بين الأمم الإسلامية ، وبيان المنافع المشتركة بينها ، وعلى مناصرة كل سياسة خارجية من شأنها ألا توقع حيفا بالشرقيين ، وقامت « العروة الوثقى » برسالتها ، فكانت منارة للشرقيين عامة ، ونبراسا لكل مجاهد حر يناضل في سبيل الحرية والحياة .

وكانت شواظا من نار على الاستعمار والبغاة ، وكانت تلقى النور المبين على جوانب الاسلام ، لتظهره للعالمين مطهرا مما ألحق به ، ودس عليه ، ونسب اليه .

دينا ارتضاه الله لعباده رحمة وخيرا وأهلا لخير حضارة أخرجت للناس .

وأدركت بريطانيا الخطر الكامن وراء سطور تلك الجريدة الخطر المدمر لسياستها ، الفاضح لفظائعها وأهدافها ، فأعلنت الحرب الشاملة عليها ، وكان من نذر هذه الحرب أن منع دخول أعدادها في البلاد الإسلامية ، وأخذت تتعقب الاحرار الذين ترسل اليهم ، وقامت الحكومة المصرية من جانبها بمؤازرة حليفاتها الاستعمارية فحددت عقوبات لمن يضبط متلبسا بجريمة قراءتها .

لا شك أن جرائد « العروة الوثقى » والقائمين بنشرها خدموا الاسلام ، والشرق بل الانسانية كلها . ولو قرأنا أعداد « العروة الوثقى » بامعان النظر لوجدنا فيها علاجا ناجحا لأدواء الفرد والمجتمع ، لأن فيها روح الحقيقة الحرة ، وأن طريق استدلالاتها مؤكدة ومركبة من المقدمات الحققة ، ويظهر من أعداد « العروة الوثقى » أن السيد في عصره كشف أمراض الشرق ، بل أمراض الانسانية كلها ، ووصيل في تحليلاته الفلسفية الى تشخيص المعالجة الناجحة وأنه بحث ما يلزم للحياة الاجتماعية وهو البحث عن الأسباب والعلل وأنه أخذ الأفكار الصحيحة من المعلومات والتجارب ، وكان فكره وذكاءه من مواهب الله تعالى ،

الذى يجعل من البشر الانبياء والرسل والنوابغ ويعطى الحكمة من يشاء
(ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا ، وما يذكر الا أولوا الالباب)
ولو تعمقنا فى أفكار السيد وخطاباته وندواته وكتاباتة ، نفهم أنه كيف
يفكر وينطق ويتكلم : هو ينطق عما يهم الناس ويؤيد الحق للحق ،
ووقف حياته لخدمة البشر والاسلام والشرق . ولاثبات ما ذكرنا ينبغي
لنا أن نقرأ مقالات « جريدة العروة الوثقى » .

واكتفى على سبيل المثال بمقالتيين أذكرهما بنصيهما لأن فى تينك
المقالتيين أهم ما يوقظ المسلمين جميعا وينبههم لاهدافهم السامية .
المقالة الأولى من « العروة الوثقى » هى ما يأتى :

« آراء السيد جمال الدين الأفغانى فى القضاء والقدر »

أورد السيد فى هذه المقالة لشرح القضاء والقدر ما يلزم أن يقرأه
كل من يريد المعرفة للقضاء والقدر حق المعرفة ، لكن يفهم أن هدف الدين
الاسلامى وسائر الأديان السماوية من القضاء والقدر غير ما يعبر عنه
عامة الناس .

بل عقيدة القضاء والقدر فى الحقيقة هى الوسيلة الوحيدة للنجاة
والسعادة وأليك نص المقالة :

قضت سنة الله فى خلقه بأن للعقائد القلبية سلطانا على الأعمال
البدنية ، فما يكون فى الأعمال من صلاح أو فساد ، فانما مرجعه فساد
العقيدة وصلاحها على ما بينا فى بعض الأعداد الماضية ، ورب عقيدة واحدة
تأخذ بأطراف الأفكار فتتبعها عقائد ومدرجات أخرى ، ثم تظهر على البدن
بأعمال ثلاثم أثرها فى النفس ، وزب أصل من أصول الخير وقاعدة من
قواعد الكمال اذا عرضت على النفس فى تعليم أو تبليغ شرع يقع فيها
الاشتباه على السامع ، فتلتبس عليه بما ليس من قبلها أو تصادف عنده
بعض الصفات الرديئة ، أو الاعتقادات الباطلة فيعلق بها عند الاعتقاد
شئ مما تصادفه . وفى كلتا الحالتين يتغير وجهها ويختلف أثرها ، وربما
تتبعها عقائد فاسدة مبنية على الخطأ فى الفهم ، أو على خبث الاستعداد ،
فتنشأ عنها أعمال غير صالحة ، وذلك على غير علم من المعتقد كيف اعتقد ،
ولا كيف يصرفه اعتقاده ، والمغرور بالظواهر يظن أن تلك الأعمال انما
نشأت عن الاعتقاد بذلك الأصل وتلك القاعدة . ومن مثل هذا الانحراف

فى الفهم وقع التحريف والتبديل فى بعض أصول الاديان غالبا ، بل هو
علة البدع فى كل دين على الأغلب ، وكثيرا ما كان هذا الانحراف وما يتبعه
من البدع منشأ لفساد الطباع وقبائح الاعمال ، أفضى بمن ابتلاهم الله به
الى الهلاك وبئس المصير . وهذا ما يحمل بعض من لا خبرة لهم على الطعن
فى دين من الاديان ، أو عقيدة من العقائد الحقّة ، استنادا الى أعمال بعض
السذج المنتسبين الى الدين أو العقيدة .

من ذلك عقيدة « القضاء والقدر » التى تعد من أصول العقائد فى
الديانة الاسلاميّة الحقّة . كثر فيها لغط المغفلين من الافرنج ، وظنوا بها
الظنون ، وزعموا أنها ما تمكنت من نفوس قوم الا وسلبتهم الهمة والقوة ،
وحكمت فيهم الضعف والضعّة ، ورموا المسلمين بصفات ونسبوا اليهم
أطوارا ، ثم حصروا علتها فى الاعتقاد بالقدر فقالوا ، ان المسلمين فى فقر
وفاقة وتأخر فى القوة الحربيّة والسياسيّة عن سائر الأمم ، وقد فشا فيهم
فساد الأخلاق ، فكثر الكذب والنفاق والخيانة والتحاقد والتباغض ،
وتفرقت كلمتهم ، وجهلوا أحوالهم الحاضرة والمستقبلّة ، وغفلوا عما يضرهم
وما ينفعهم ، وقنعوا بحياة يأكلون فيها ويشربون وينامون ، ثم لا ينافسون
غيرهم فى فضيلة ، متى أمكن لأحدهم أن يضر أخاه لا يقصر فى إلحاق
الضرر به ، فجعلوا بأسهم بينهم ، والأمم من ورائهم تبتلعهم لقمة بعد
أخرى ، رضوا بكل عارض واستعدوا لقبول كل حادث ، وركنوا الى
السكون فى كسور بيوتهم ، يسرحون فى مرعاهم ، ثم يعودون الى
مأواهم .

الامراء فيهم يقطعون أزمنتهم فى اللهو واللعب ومعاطات الشهوات ،
وعليهم فروض وواجبات تستغرق فى أدائها أعمارهم ولا يؤدون منها
شيئا يصرفون أموالهم فيما يقطعون به زمانهم اسرافا وتبذيرا ، نفقاتهم
واسعة ، ولكن لا يدخل فى حسابها شيء يعود على ملتهم بالمنفعة ، يتخاذلون
ويتنافرون ، وينوطون المصالح العمومية بمصالح الخصوصيّة ، فرب
تنافر بين الأميرين يضيع أمة كاملة ، كل منهما يخذل صاحبه ، ويستعدى
عليه جاره ، فيجد الاجنبى فيهما قوة فانية وضعفا قاتلا ، فينال من بلادهما
مالا يكلفه عددا ولا عدة . شملهم الخوف وعمهم الجبن والخور ، يفرعون
من الهمس ، ويألمون من اللمس . قعدوا عن الحركة الى ما يلحقون به الامم
فى العزة والشوكة ، وخالفوا فى ذلك أوامر دينهم ، مع رؤيتهم لجيرانهم
بل الذين تحت سلطتهم يتقدمون عليهم ويباهونهم بما يكسبون ، وإذا
أصاب قوما من اخوانهم مضيبة أو عدت عليهم عادية لا يسعون فى تخفيف
مصائبهم ، ولا ينبعثون لمناصرتهم ، ولا توجد فيهم جمعيات ملية كبيرة

لا جهرية ولا سرية ، يكون من مقاصدها احياء الغيرة ، وتنبيه الحمية ،
ومساعدة الضعفاء ، وحفظ الحق من بغى الاقوياء وتسلبت الغرباء .

هكذا نسبوا الى المسلمين هذه الصفات وتلك الأطوار ، وزعموا أن
لا منشأ لها الا اعتقادهم « بالقضاء والقدر » وتحويل جميع مهماتهم على
القدرة الالهية ، وحكموا بأن المسلمين لو داموا على هذه العقيدة فلن تقوم
لهم قائمة ، ولن ينالوا عزا ولن يعيدوا مجددا ، ولا يأخذون بحق ،
ولا يدفعون تعديا ، ولا ينهضون بتقوية سلطان ، أو تأييد ملك ، ولا يزال
بهم الضعف يفعل في نفوسهم ، ويركس من طباعهم ، حتى يؤدي بهم
الى الفناء والزوال « والعياذ بالله » يفنى بعضهم بعضا بالمنازعات الخاصة ،
وما يسلم من أيدي بعضهم يحصده الاجانب .

واعتقد أولئك الافرنج انه لا فرق بين الاعتقاد « بالقضاء والقدر »
وبين الاعتقاد بمذهب الجبرية القائلين : بأن الانسان مجبور محض في
جميع أفعاله ، وتوهموا أن المسلمين بعقيدة القضاء يرون أنفسهم كالريشة
المعلقة في الهواء تقلبها الرياح كيفما تميل ، ومتى رسخ في نفوس قوم
أنه لا خيار لهم في قول ولا عمل ، ولا حركة ولا سكون ، وانما جميع ذلك
بقوة جابرة ، وقدرة قاسرة ، فلا ريب تتعطل قواهم ، ويفقدون ثمره
ما وهبهم الله من المدارك والقوى ، وتمحى من خواطرهم داعية السعى
والكسب ، وأجدر بهم بعد ذلك أن يتحولوا من عالم الوجود الى عالم
العدم .

هكذا ظنت طائفة من الافرنج ، وذهب مذهبها كثيرون من ضعفاء
العقول في المشرق ، ولست أخشى أن أقول : كذب الظان وأخطاه الوهم
وبطل الزاعم ، وافتروا على الله والمسلمين كذبا ، لا يوجد مسلم في هذا
الوقت من سني ، وشيعي ، وزيدي ، واسماعيلي ، ووهابي ، وخارجي ،
يرى مذهب الجبر المحض ، ويعتقد سلب الاختيار عن نفسه بالمرة ، بل
كل من هذه الطوائف المسلمة يعتقدون بأن لهم جزءا اختياريا في أعمالهم ،
ويسمى بالكسب ، وهو مناط الثواب والعقاب عند جميعهم ، وانهم
محاسبون بما وهبهم الله من هذا الجزء الاختياري ، ومطالبون بامثال جميع
الاوامر الالهية ، والنواهي الربانية ، الداعية الى كل خير ، الهادية الى
كل فلاح ، وأن هذا النوع من الاختيار هو مورد التكليف الشرعي ، وبه
تم الحكمة والعدل .

نعم كانت بين المسلمين طائفة تسمى بالجبرية ذهبت الى أن الانسان
مضطرب في جميع أفعاله اضطرارا لا يشوبه اختيار ، وزعمت أن لا فرق

بين أن يحرك الشخص فكه للأكل والمضغ ، وبين أن يتحرك بقففة البرد عند شدته ، ومذهب هذه الطائفة يعده المسلمون من منازع السفسطة الفاسدة ، وقد انقضى أرباب هذا المذهب في أواخر القرن الرابع من الهجرة ، ولم يبق لهم أثر ، وليس الاعتقاد « بالقضاء والقدر » هو عين الاعتقاد بالجبر ، ولا من مقتضيات ذلك الاعتقاد ما ظنه أولئك الواهمون .

الاعتقاد بالقضاء يؤيده الدليل القاطع ، بل ترشد اليه الفطرة ، وسهل على من له فكر أن يلتفت إلى أن كل حادث له سبب يقارنه في الزمان ، وأنه لا يرى من سلسلة الأسباب إلا ما هو حاضر لديه ، ولا يعلم ماضيها إلا مبدع نظامها ، وأن لكل منها مدخلا ظاهرا فيما بعده بتقدير العزيز العليم ، وإرادة الإنسان إنما هي حلقة من حلقات تلك السلسلة ، وليست الإرادة إلا أثرا من آثار الإدراك ، والإدراك انفعال النفس بما يعرض على الحواس ، وشعورها بما أودع في الفطرة من الحاجات ، فلظواهر الكون من السلسلة على الفكر والإرادة مالا ينكره أبله فضلا عن عاقل ، وأن مبدأ هذه الأسباب التي ترى في الظاهر مؤثرة إنما هو بيد مدبر الكون الأعظم الذي أبدع الأشياء على وفق حكمته ، وجعل كل حادث تابعا لشبهه ، كأنه جزء له خصوصا في العالم الإنساني .

ولو فرضنا أن جاهلا ضل عن الاعتراف بوجود اله صانع للعالم فليس في إمكانه أن يتخلص من الاعتراف بتأثير الفواعل الطبيعية ، والحوادث الدهرية في الإرادات البشرية ، فهل يستطيع الإنسان أن يخرج بنفسه عن هذه السنة التي سنّها الله في خلقه ؟ هذا أمر يعترف به طلاب الحقائق - فضلا عن الواصلين - وأن بعضا من الحكماء الأفرنج وعلماء سياستهم التجأوا إلى الخوض لسلطة القضاء ، وأطالوا البيان في إثباتها ، ولسنا في حاجة إلى الاستشهاد بأرائهم .

ثم كتب السيد : الاعتقاد « بالقضاء والقدر » إذا تجرد عن شناعة الجبر تتبعه صفة الجرأة والاقدام ، وخلق الشجاعة والبسالة ، ويبعث على اقتحام المهالك التي توجف لها قلوب الأسود ، وتنشق منها مرائر النمر ، هذا الاعتقاد يطبع النفس على الثبات واحتمال المكار ، ومقارعة الأهوال ، ويحليها بحلى الجود والسخاء ، ويدعوها إلى الخروج من كل ما يعز عليها ، بل يحملها على بذل الأرواح ، والتخلي عن نظرة الحياة ، كل هذا في سبيل الحق الذي قد دعاها للاعتقاد بهذه العقيدة . الذي يعتقد بأن الاجل محدود والرزق مكفول والأشياء بيد الله يصرفها كما يشاء كيف يرهب

الموت في الدفاع عن حقه ، واعلاء كلمة أمته أو ملته ، والقيام بما فرض الله عليه من ذلك ؟ .

وكيف يخشى الفقر مما ينفق من ماله في تعزيز الحق وتشجيع المجدي على حسب الأوامر الالهية ، وأصول الاجتماعات البشرية ؟ .

امتدح الله المسلمين بهذا الاعتقاد مع بيان فضيلته في قول الحق :
(الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسبهم سوء ، واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم) .

اندفع المسلمون في أوائل نشأتهم الى الممالك والاقطار يفتحونها ويتسلطون عليها ، فأدهشوا العقول وحيروا الالباب بما دوخوا الدول وقهروا الامم ، وامتدت سلطتهم من جبال بيرينى الفاصلة بين اسبانيا وفرنسا الى جدار الصين ، مع قلة عدتهم وعددهم وعدم اعتيادهم على الأهوية المختلفة ، وطبائع الاقطار المتنوعة ، أرغموا الملوك ، وأذلوا القياصرة والاكاسرة ، في مدة لا تتجاوز ثمانين سنة ! ان هذا ليعد من خوارق العادات وعظائم المعجزات . ثم بعد بسط ذكر السيد أن ببركة القضاء والقدر حصل للمسلمين الفوز والنجاح في كل محاولاتهم ومكافحاتهم ، ولكن لما نظر السيد الى حال المسلمين والشرقيين ، صدرت من أعماق قلبه ولطف قريحته ورقته الكلمات الآتية :

« بكائي على السالفين ونحبيي على السابقين أين أنتم يا عصابة الرحمة وأولياء الشفقة ؟ أين أنتم يا أعلام المروءة ، وشوامخ القوة ، أين أنتم يا آل النجدة ، وغوث المضمين يوم الشدة ؟ أين أنتم يا خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ؟ أين أنتم أيها الأمجاد الانجاد القوامون بالقسط الآخذون بالعدل الناطقون بالحكمة ، المؤسسون لبناء الامة ؟ ، ألا تنظرون من خلال قبوركم الى ما أتاه خلفكم من بعدكم ، وما أصاب أبناءكم ومن ينتحل نحلتم ؟ انصرفوا عن سنتكم ، وجاروا عن طريقكم ، فضلوا عن سبيلكم ، وتفرقوا فرقا وأشياعا ، حتى أصبحوا من الضعف على حال تذيب لها القلوب أسفا ، وتحترق لها الأكباد حزنا . أصبحوا فريسة للأمم الاجنبية لا يستطيعون ذودا عن حوضهم ، ولا دفاعا عن حوزتهم ، ألا يصيح من برازخكم صائح منكم ينبه الغافل ، ويوقظ النائم ، ويهدي الضال الى سواء السبيل ؟ (انا لله وانا اليه راجعون) . »

أقول وربما لا أخشى واهما ينازعني فيما أقول من بداية تاريخ

الاجتماع البشرى الى اليوم ، ما وجد فاتح عظيم ولا محارب شهير ، نبت
فى أوسط الطبقات ، ثم رقى بهمته الى أعلى الدرجات ، فذللت له الصعاب ،
وخضعت الرقاب ، وبلغ من بسطة الملك ما يدعو الى العجب ، ويبعث
الفكر لطلب السبب ، الا كان معتقدا « بالقضاء والقدر » سبحانه الله !
الانسان حريص على حياته شحيح بوجوده ، على مقتضى الفطرة والجبلة ،
فما الذى يهون عليه اقتحام المخاطر ، وخوض المهالك ، ومصارعة المنايا ،
الا الاعتقاد « بالقضاء والقدر » وركون قلبه الى أن المقدر كائن ولا أثر لهول
المظاهر .

أثبتت لنا التواريخ ان « كورش » الفارسى (كيخسرو) وهو أول
فاتح يعرف فى تاريخ الأقدمين ، ما تسنى له الظفر فى فتوحاته الواسعة ،
الا أنه كان معتقدا « بالقضاء والقدر » فكان لهذا الاعتقاد لا يهوله هول ،
ولا توهن عزيمته شدة ، وان « الاسكندر الأكبر » اليونانى كان ممن
رسخ فى نفوسهم هذه العقيدة الجلية ، « وجنكيزخان » التترى صاحب
الفتوحات المشهورة كان من أرباب هذا الاعتقاد ، بل كان نابليون الاول
بوناپرت الفرنسلاوى من أشد الناس تمسكا بعقيدة القضاء ، وهى التى
كانت تدفعه بعساكره القليلة على الجماهير الكثيرة ، فيتهيا له الظفر وينال
بغيته من النصر .

فنعم الاعتقاد الذى يظهر النفوس الانسانية من رذيلة الجبن ، وهو
أول عائق للمتدنس به عن بلوغ كماله فى طبقته أيا كانت ، نعم اننا
لا ننكر أن هذه العقيدة قد خالطها فى نفوس بعض العامة من المسلمين
شوائب من عقيدة الجبر ، وربما كان هذا سببا فى رزيثتهم ببعض المصائب
التي أخذتهم بها الحوادث فى الإعصر الأخيرة ، ورجاؤنا فى الراسخين من
علماء العصر أن يسعوا جهدهم فى تلخيص هذه العقيدة الشريفة من بعض
ما طرأ عليها من لواحق البدع ، ويذكروا العامة بسنن السلف الصالح
وما كانوا يعملون ، وينشروا بينهم ما أثبتته ائمتنا رضى الله عنهم كالشيخ
« الغزالى » وأمثاله من أن التوكل والركون الى القضاء انما طلبه الشرع
منا فى العمل لا فى البطالة والكسل ، وما أمرنا الله أن نهمل فروضنا ،
وننبذ ما أوجب علينا ، بحجة التوكل عليه ، فتلك حجة المارقين عن الدين ،
العائدين عن الضراط المستقيم . ولا يرتاب أحد من أهل الدين الاسلامى
فى أن الدفاع عن الملة فى هذه الأوقات صار من الفروض العينية على كل
مؤمن مكلف ، وليس بين المسلمين وبين الالتفات الى عقائدهم الحقبة التى
تجمع كلمتهم وترد اليهم عزتهم ، وتنهض غيرتهم لاسترداد شأنهم الاول
الا دعوة خير من علمائهم ، وأن جميع ذلك موكل الى ذمتهم .

أما ما زعموه في المسلمين من الانحطاط والتأخر فليس منشأ هذه العقيدة « ولا غيرها من العقائد الإسلامية » ونسبته اليها كنسبة النقيض الى نقيضه ، بل أشبه ما يكون بنسبة الحرارة الى الثلج ، والبرودة الى النار ، نعم حدث للمسلمين بعد نشأتهم نشوة من الظفر ، وثل من العز والغلب ، وفاجأهم وهم على تلك الحال صدمتان قويتان صدمة من طرف الشرق وهي غارة التتر من جنكيزخان وأحفاده ، وصدمة من جهة الغرب وهي زحف الأمم الأوروبية بأسرها على ديارهم ، وأن الصدمة في حال النشوة تذهب بالرأى ، وتوجب الدهشة والسبات بحكم الطبيعة ، وبعد ذلك تذاولتهم حكومات متنوعة ، ووسد الامر فيهم الى غير أهله ، وولى على أمورهم من لا يحسن سياستهم ، فكان حكامهم وأمرأؤهم من جرائيم الفساد في أخلاقهم وطباعهم ، وكانوا مجلبة لشقائهم وبلائهم ، فتمكن الضعف من نفوسهم ، وقصرت أنظار الكثير منهم على ملاحظة الجزئيات التي لا تتجاوز لذته الآنية ، وأخذ كل منهم بناصية الآخر ، يطلب له الضرر ، ويلتمس له السوء من كل باب ، لا لعله صحيحة ولاداع قوى ، وجعلوا هذه ثمرة الحياة . قال الامر بهم الى الضعف والقنوط وأدى الى ما صاروا اليه . (١)

المقالة الثانية : من « العروة الوثقى » :

« آراء السيد في انحطاط المسلمين وخمولهم وسبب ذلك »

أورد السيد في هذه المقالة الاسباب والعلل التي صارت منشأ لانحطاط المسلمين وسكونهم ، ويتضح منها أن سبب انحطاط المسلمين عدم علمهم وعدم عملهم عملا معقولا بارشادات الدين الاسلامي ، بل انه أكثر المسلمين كما يقرون أنهم يعتقدون بالدين الاسلامي اجمالا ، ولا يعرفون الاسلام حق معرفته ولا يعملون على أساسه حق العمل وقد كتب السيد في هذه المقالة ما يأتي :

«المسلمون يحس كل واحد منهم بهاتف يهتف من بين جنبه يذكره بما تطالب به الشريعة ، وما يفرض عليه الايمان ، وهو هاتف الحق الذي بقي له من الهامات دينه ، ومع كل هذا يرى أهل هذا الدين في هذه

(١) من كتاب : العروة الوثقى والثورة التحريرية الكبرى . الناشر دار العرب

الأيام بعضهم في غفلة عما يلم بالبعض الآخر ، ولا يألون لما يآلم له بعضهم ، فأهل (بلوجستان) كانوا يرون حركات الانجليز في « أفغانستان » على مواقع أنظارهم ، ولا يجيش لهم جائش ، ولم تكن لهم نعة على اخوانهم ، والافغانيون كانوا يشهدون تدخل الانجليز في بلاد فارس ولا يضجرون ولا يتململون ، وان جنود الانجليز تقترب من الاراضى المصرية ذهابا وايابا وتقتل وتفتك ، ولا ترى نجدة في نفوس اخوانهم المشرقيين (والشرقيين) على مجارى دمائهم ، بل السامعين لخبرها من حلاقيمهم ، الذين احمرت أحداقهم من مشاهدتها بين أيديهم وتحت أرجلهم وعن شمائلهم » .

ثم كتب السيد جمال الدين الأفغانى فى تلك المقالة بعد تمهيد المقدمات عن السبب فى سكون المسلمين ، والعلة فى تباطئهم عن نصره اخوانهم مع شدتهم فى الدين وقوة عقائدهم ما يأتى : « انه لم يبق من جامعة بين المسلمين فى الاغلب الا العقيدة الدينية مجردة عما يتبعها من الأعمال ، وانقطع التعارف بينهم ، وهجر بعضهم بعضا هجرا غير جميل ، فالعلماء وهم القائمون على حفظ العقائد وهداية الناس اليها لا تواصل بينهم ولا تراسل ، فالعالم التركى فى غيبة عن حال العالم الحجازى ، والعالم الهندى فى غفلة عن شئون العالم الافغانى ، وهكذا . . بل العلماء من أهل قطر واحد لا ارتباط بينهم ، ولا صلة تجمعهم الا ما يكون بين أفراد العامة لدواع خاصة ، من صداقة أو قرابة بين أحدهم وآخر ، أما فى هيئتهم الكلية فلا وحدة لهم ، بل لا أنساب بينهم ، وكل ينظر الى نفسه ولا يتجاوزها كأنه كون برأسه .

كما كانت هذه الجفوة وذلك الهجران بين العلماء ، كانت كذلك بين الملوك والسلاطين من المسلمين ، أليس بعجب الا تكون سفارة للعثمانية فى مراکش ولا لمراكش عند العثمانيين ؟ أليس بغريب الا تكون للدولة العثمانية صلات صحيحة مع الافغانيين وغيرهم من طوائف المسلمين فى الشرق ؟

هذا التدابر والتقاطع وارسال الحبال على الغوارب عم المسلمين ، حتى صبح أن يقال لاعلاقة بين قوم منهم وقوم ، ولا بلد وبلد الا طفيف من الاحساس بأن بعض الشعوب على دينهم ، ويعتقدون مثل اعتقادهم ، وربما يعرفون مواقع أقطارهم بالصدفة اذا التقى بعضهم ببعض فى موسم الحجيج العام ، وهذا النوع من الاحساس هو الداعى الى الأسف وانقباض الصدر اذا شعر مسلم بضياح حق مسلم على يد أجنبى عن ملته ، لكنه لضعفه لا يبعث على النهوض لمعاضدته .

كانت الملة كجسم عظيم قوى البنية صحيح المزاج ، فنزل به من العوارض ما أضعف الالتئام بين أجزائه فتداعت للتناثر والانحلال ، وكاد كل جزء يكون على حدة وتضمحل هيئة الجسم . بدأ هذا الانحلال والضعف في روابط الملة الاسلامية عند انفصال الرتبة العلمية عن رتبة الخلافة ، وقتما قنع الخلفاء العباسيون باسم الخلافة دون أن يحوزوا شرف العلم والتفقه في الدين ، والاجتهاد في أصوله وفروعه ، كما كان الراشدون رضى الله عنهم .

كثرت بذلك المذاهب ، وتشعب الخلاف من بداية القرن الثالث من الهجرة الى حد لم يسبق له مثيل في دين من الأديان ، ثم انثلمت وحدة الخلافة فانقسمت الى أقسام : خلافة عباسية في بغداد ، وفاطمية في مصر والمغرب ، وأموية في أطراف الأندلس ، تفرقت بهذا كلمة الأمة وانشقت عصاها ، وانحطت رتبة الخلافة الى وظيفة الملك ، فسقطت هيبتها من النفوس ، وخرج طلاب الملك والسلطان يدأبون اليه من وسائل القوة والشوكة ، ولا يراعون جانب الخلافة .

وزاد الاختلاف شدة ، وتقطعت الوشائج بينهم بظهور «جنكيزخان» وأولاده « وتيمورلنك » وأحفاده وإيقاعهم بالمسلمين قتلا واذلالا ، حتى أذهلوهم عن أنفسهم ، فتفرق الشمل بالكلية ، وانقسمت عن الالتئام بين الملوك والعلماء جميعا ، وانفرد كل بشأنه أو انصرف الى مايليه ، فتبدد الجمع الى آحاد ، وافترق الناس فرقا كل فرقة تتبع داعيا ، أما الى ملك أو مذهب ، فضعفت آثار العقائد التي كانت تدعو الى الوحدة ، وتبعث الخيال ، وتلحظها الذاكرة عند عرض ما في خزائن النفوس من المعلومات ، ولم يبق من آثارها الا أسف وحسرة يأخذان بالقلوب عندما تنزل المصائب ببعض المسلمين بعد أن ينفذ القضاء ويبلغ الخبر الى السامع على طول من الزمان ، وما هو الا نوع من الحزن على الفائت ، كما يكون على الاموات من الاقارب لا يدعو الى حركة لتدارك النازلة ، ولا دفع الغائلة .

وكان من الواجب على العلماء قياما بحق الوراثة التي شرفوا بها على لسان الشارع أن ينهضوا لأحياء الرابطة الدينية ، ويتداركوا الاختلاف الذي وقع في الملك بتمكين الاتفاق الذي يدعو اليه الدين ، ويجعلوا معاهد هذا الاتفاق في مساجدهم ومدارسهم حتى يكون كل مسجد وكل مدرسة مهبطا لروح حياة الوحدة ، ويصير كل واحد منها كحلقة في سلسلة واحدة ، اذا اهتز أحد أطرافها اضطرب لهزته الطرف

الآخر ، ويرتبط العلماء والخطباء والأئمة الوعاظ فى جميع أنحاء الأرض بعضهم ببعض ، ويجعلون لهم مركزا فى أقطار مختلفة ، يرجعون إليها فى شئون وحدتهم ، ويأخذون بأيدي العامة الى حيث يرشدتهم التنزيل ، وصحيح الأثر ، ويجمعوا أطراف الوشائج الى معقد واحد يكون مركزه فى الأقطار المقدسة ، وأشرفها معهد بيت الله الحرام ، حتى يتمكنوا بذلك من شد أزر الدين وحفظه من قوارع العدوان ، والقيام بحاجات الأمة اذا عرض حادث الحلل وتطرق الاجانب للتدخل فيها ، بما يحط من شأنها ويكون كذلك ادعى لنشر العلوم وتنوير الافهام ، وصيانة الدين من البدع ، فان احكام الربط انما يكون بتعيين الدرجات العلمية ، وتحديد الوظائف ، فلو أبدع مبدع أمكن بالتواصل بين الطبقات تدارك بدعته ومحوها قبل فشوها بين العامة وليس بخاف على المستبصرين ما يتبع هذا من قوة الأمة وعلو كلمتها واقتدارها على دفع ما يغشاها من النوازل .

الا أننا نأسف غاية الأسف اذا لم تتوجه خواطر العلماء والعقلاء من المسلمين الى هذه الوسيلة وهى أقرب الوسائل ، وان التفت اليها فى هذه الايام طائفة من أرباب الغيرة ، ورجاؤنا من ملوك المسلمين وعلمائهم من أهل الحمية والحق أن يؤيدوا هذه الفئة ، ولا يتوانوا فيما يوحد جمعهم ، ويجمع شتيتهم ، فقد دارستهم التجارب ببيان لا مزيد عليه ، ما هو بالعسير عليهم أن يبثوا الدعاة الى من يبعد عنهم ، ويصاقحوا بالألف من هو على مقربة منهم ، ويتعرفوا أحوال بعضهم فيما يعود على دينهم وملتهم بفائدة . أو ما يخشى أن يمسخها بضرر ، ويكونون بهذا العمل الجليل قد أدوا فريضة وطلبوا سعادة .

« والرمق باق والآمال مقبلة ، والى الله المصير » (١)

(١) من كتاب « العروة الوثقى » والثورة التحريرية الكبرى الناشر : دار العرب

« مجمل ما قام به السيد جمال الدين في باريس »

ان السيد جمال الدين الأفغانى أقام ثلاث سنوات فى باريس ، يعمل لخدمة الشرق والعالم الاسلامى والانسانى . وقد أسس فى عام ١٣٠١ هـ جريدة « العروة الوثقى » ، لمقاومة سياسة الانجليز خاصة والأوربيين عامة ، واستخلاص العالم الاسلامى والشرقى من نير الذل والاستعمار وكانت الجريدة ترسل وتوزع مجانا الى كل جهات العالم الاسلامى ، والشرقى ، وقد صدر العدد الاول من هذه الجريدة فى ثمان وثلاثين صفحة يوم ١٥ جمادى الثانى سنة ١٣٠١ هـ ، رسمت فيه منهجا «علميا للاصلاح» ، وحددت معالمه فى ست نقاط رئيسية ، عرضتها على النحو التالى :

- ١ - شرحت واجبات الشرقيين ، وكيف أن التفریط فيها أدى الى ضعفهم وسقوط مجدهم ! ثم أوضحت لهم الطرق التى يجب عليهم السير فيها لتدارك ما فات .
- ٢ - عمدت الى اشراب النفوس عقيدة الأمل فى النجاح وازالة ماحل بها من اليأس .
- ٣ - دعت الى التمسك بالاصول التى كان عليها آباء الشرقيين ، وأسلافهم ، وهى ما تمسكت به الدول الأجنبية ، التى صارت لها القوة والمنعة .
- ٤ - هدمت فى ايمان وقوة التهم التى حاول الاستعمار لصقها بالشرقيين عامة والمسلمين خاصة .
- ٥ - زودت الشرقيين بما يهمهم من حوادث السياسة العامة ، والخاصة .
- ٦ - أفاضت فى بيان أهمية تقوية الصلات بين الأمم الاسلامية ، وتمكين الألفة بين أفرادها (١) .

(١) من كتاب اعلام العرب - رشيد رضا - للدكتور ابراهيم العدوى ص (٧٧ - ٧٨)

وقد أحدثت جريدة « العروة الوثقى » التي كانت بمثابة صورة اسرافيل ، ضجة هائلة في كل الأوساط الاسلامية ، ونفخت روح النهضة ، في أجساد الدول الاسلامية .

وكانت وراء هذه الجريدة جمعية سرية - كما ذكرنا - منبثة في جميع الاقطار الاسلامية ، يتم اختيار أعضائها من بين المسلمين المثقفين المتحمسين لدينهم ، ووضعت لهذه الجمعية السرية يمين يقسمها من يدخل فيها ، وقد ذكرنا نص اليمين آنفا ، ويتعهد بأن يطلب الوسائل لتقوية الاسلام ، عقلا ، وقدرة ، وأن يوسع معرفته بالعالم الاسلامي ، من كل نواحيه ، بقدر ما يستطيع ، واتخذت الجمعية السرية فروعاً لها في البلدان المختلفة ، يجتمع كل فرع منها لدراسة شئونه ، وفي آخر كل اجتماع يتبرع الأعضاء ، بشيء من المال ، في صندوق صغير ، له ثقب ضيق ، يضع فيه كل عضو ما تيسر له خفية ، حتى لا يعلم من أدى أقل ومن دفع أكثر ، وكان ينفق من هذا المال على جريدة العروة الوثقى ، والقائمين بها حيث كانت ترسل أكثر أعدادها بالمجان (١) .

وقد قال الامام المجاهد الأستاذ رشيد رضا : سمعت أستاذنا الشيخ حسين الجسر ، عالم سورية الوحيد في الجمع بين العلوم الاسلامية ، ومعرفة حالة العصر السياسية ، يقول : ما كان أحد يشك في أن جريدة « العروة الوثقى » ستحدث انقلاباً عظيماً في العالم الاسلامي لو طال عليها الزمان .

وسمعت محمد بك علي المؤيد ، يقول : كنت في بغداد في عهد صدور « العروة الوثقى » ، وكانت ترسل الى الزعيم العربي الأكبر في العراق ، السيد سلمان الكيلاني ، نقيب السادة الأشراف ، وكان يقول : كلما جاء عدد منها يوشك أن تقع ثورة من تأثير هذه الجريدة ، قبل أن يجيء العدد الذي بعد هذا .

فلأجل هذا اضطربت الدول الأوروبية الاستعمارية ، وأصابها ذعر شديد ، خوفاً من تألب البلاد الاسلامية المستعمرة عليها ، فقلقت من اتساع نفوذ هذه الجريدة ، وأخذت تعمل لوقفها ، وتعطيلها وعدم وصولها الى المستعمرات الانجليزية بكل وسيلة ، الأمر الذي أيدته فرنسا من جهتها ، حتى آذنت شمس هذه الجريدة بالغروب .

وكان المخل الذي يعمل فيه السيد جمال الدين مع زميله الشيخ

(١) من كتاب اعلام العرب - رشيد رضا للدكتور ابراهيم العدوي . ص (٦٩ - ٧٠) .

محمد عبده لتحرير الجريدة المذكورة ، عبارة عن حجرة ضيقة في سطح منزل في زقاق حارة « سيزوماتل » على مقربة من ميدان « المادلين » بباريس غير أن تلك الحجرة الضيقة كانت ملتقى شخصيات شرقية وغربية وكانت الصحف الفرنسية تنشر بعض المقالات بقلم السيد جمال الدين عن سياسته الشرقية ، وكانت أغلب الجرائد الانجليزية تقطف نبذا منها ، خصوصا في الوقت الذي كان فيه السيد مقيما في باريس ، وكانت مباحثاته مع العالم الفرنسى المشهور « آرنست رينان » حول الاسلام والعلم لها أهمية عظيمة ، وفى نفس ذلك الوقت كانت مسألة المهدي فى السودان تشغل بال الانجليز كثيرا ، وكان السيد جمال الدين على اتصال بالمهدي ، فاتجهت نية الانجليز الى أن يكون السيد جمال الدين واسطة للصلح بينهم وبين المهدي .

« بريطانيا تعرض عرش السودان على السيد جمال الدين الأفغانى »

أرسلت بريطانيا الى السيد جمال الدين الأفغانى اللورد « سالسبرى » ، تدعوه باسم حكومتها لزيارة لندن ، لتسأله عن رأيه فى حركة « المهدي » فى السودان ، وفى ضمن هذا عرضت بريطانيا عليه عرش السودان قائلة : (انها تعلم مقدرته وتقدر رأيه حق قدره ولأنها تريد أن تسلك مع الحكومات الاسلامية مسلك المودة والولاء لذلك تصورنا أن نرسلك الى السودان بصفة سلطان عليه ، فتستأصل جذور فتنة المهدي ، وتمهد لاصلاحات بريطانيا فيه) .

ولكن السيد « جمال الدين » رفض أن يقع فى الفخ البريطانى وسخر من العقلية الانجليزية التى لا تؤمن بأن فى الدنيا رجالا أحرارا أشرافا ماعدا جزيرتها ! قائلا : ان السودان ليس ملكا لبريطانيا حتى تتصرف فى عرشه (١) .

ومن هذا تظهر الأهداف السامية للسيد جمال الدين الأفغانى ، وهى أنه ما يريد من المكافحة جلب المنافع الشخصية ، والأعراض المادية ، بل كان كفاحه لأجل خدمة الانسانية والشرق عن طريق المبادئ الاسلامية .

(١) من ص (٣٥) كتاب « العروة الوثقى » والثورة التحريرية الكبرى . الناشر : دار العرب .

غير أن ثورة السودان فشلت ، وبدأ الانجليز يسيطون سلطانهم على جنوب الوادي ، وأن ممالك الاستعمار توجهوا لمنع النشاط الذي بدأه السيد جمال الدين وأعوانه لقمع الاستعمار والاستغلال بحيل مختلفة فلأجل هذا دب اليأس الى قلوب القائمين بمهمة ايقاظ الشرق ، وانفض عن السيد معظم أنصاره ، وفي نفس التاريخ ارتحل محمد عبده ، الى بيروت ، وهناك حاول اصلاح نظم التعليم فلم يفلح ، وأيقن أن دولة آل عثمان غارقة في بحار الجهل ، فزاد يأسا على يأس ، وقفل راجعا الى مصر ، فدخلها في أوائل سنة ١٣٠٦ هـ ، وصمم على أن يحيا حياة بعيدة عن السياسة .

« خروج السيد جمال الدين من فرنسا واتجاهه الى ايران »

ضاق جمال الدين بالحياة في فرنسا ، ولم يجد ثمة ما يدعو الى البقاء في عاصمتها ، فعزم على الرحيل مرة أخرى نحو الشرق ، لكي يجد سبيلا الى تطبيق أفكاره ، وأهدافه ، وذلك بعد أن تركه أتباعه وتلاميذه بسبب الدسائس الانجليزية ، وبينما كان يتأهب لمغادرة أوروبا ، تلقى برقية من « ناصر الدين » شاه امبراطور العجم ، يدعو الى بلاده ، فاتجه نحو ايران في جمادى الاولى سنة ١٣٠٣ هـ ، فلما بلغها قابل « ناصر الدين شاه » في طهران فسأل الشاه السيد جمال الدين في أثناء تلك المقابلة ماذا تطلب مني ؟

فقال السيد جمال الدين : أريد أذنين صاغيتين .

فاستغرب الشاه من تعقله وجراته ، وعلى كل حال لقيه الشاه لقاء طيبا ، واحتفى به حفاوة كبيرة ، وأكرمه ثم نصبه وزيرا للحربية .

وما كاد الافغانى يقيم زمنا وجيزا في طهران ، حتى عرف الناس قدره ، وعظموا فيه علمه وأدبه ، فأصبح محط الانظار ، وسارع اليه القوم والامراء والعلماء ، يترددون عليه ، ويستفيدون من مجلسه ، فقد وجدوه كثير الاطلاع في مختلف أمور الحياة ، والخبرة بشئون السياسة ، وعرفوا أن عنده المعلومات التاريخية الوافرة الموثوقة ، وعلم أطوار المدنية والعمران ، وله احاطة بأساليب الحكم الحديثة ، وكذلك معلومات واسعة في العلوم القديمة والجديدة وقدرة على الموازنة بين الاديان ، ثم عرفوا لديه قريحة جيدة ، ومقدرة بالغة على الاقناع ، ومنطقا قاطعا

حاسما ، وكان ذلك سببا لاقبال القوم عليه ومحبتهم له ، فبقدر علومكانته
في قلوب الناس ، وبقدر تبجيلهم واحترامهم له ، كان القلق يعصف
بقلب الشاه ، وقد كان ذلك في حقيقة الامر أول بادرة من بوادر النفرة
بينه وبين ذوى الامر ، أينما ذهب أو نزل ، فأخذ ناصر الدين يتوجس
من السيد جمال الدين الافغانى خيفة ، وأدرك السيد جمال الدين الافغانى
خوف « ناصر الدين » ، وعدم رضائه باصلاحات القوم ، فطلب منه أن
يأذن له بالخروج من ايران ، قبل أن يشهد الامر ، فأذن له ، وغادر
الافغانى هذه البلاد الى روسيا .

« جمال الدين الافغانى فى روسيا »

ارتحل جمال الدين من ايران الى روسيا فى سنة ١٨٨٦ م ، فلما
نزل عاصمتها بطرسبورج (١) أكرمه القيصر . وقد مال الافغانى الى
الذهاب الى روسيا ، لأنه ظن أنه يمكن أن يحطم مشروعات الاستعمار
الانجليزى فى الشرق ، لو وقفت روسيا الى جانبه ، لأجل ذلك أخذ
يكتب مقالات فى الصحف ، عرض فيها لبيان الاتجاهات السياسية فى
بلاد أفغانستان ، وفارس ، والدولة العثمانية ، كما عرض أيضا بالنقد
للسياسة الانجليزية وكانت أساس خطة السيد جمال الدين اعداد العدة
لتوحيد البلاد الاسلامية ، وتخليصها من ربة الاستعمار البريطانى ،
فلأجل هذا عمل على أن يهيئ الوسائل ، لاثارة الحرب بين الروس
والانجليز ، كما تقابل السيد جمال الدين الافغانى عدة مرات مع
« زينويف » ، مدير وزارة الخارجية الروسية ، ولكن المدير المذكور أظهر
عدم ميل الروس الى خوض معركة أخرى ، لأنهم كانوا قد انتهوا آنفا
من حربهم مع العثمانيين ، كما يدل على عدم رغبته وميله نص عبارة السيد
« جمال الدين الافغانى » بعد مقابلته لـ « زينويف » كلما أرميه الى الهواء
يقع كالقطة فوق الأرض . أى على يديه ورجليه ، يقصد من ذلك أن
« زينويف » لا يتغير رأيه .

وهناك سبب آخر ، دعاه الى الالتجاء الى روسيا وهو محاولة تخفيف
ما كان يشعر به المسلمون فى بلاد القيصر من عسف ، فقد كان فى
روسيا ثلاثون مليوناً من المسلمين تقريبا ، لا تحسن الحكومة الروسية
معاملتهم ، فأراد أن يرفع الظلم عنهم ، فطلب السيد من حكومة روسيا

(١) ليننجراد الحالية .

أن تسمح لمسلميها بطبع المصحف ، ونشر بعض الكتب الدينية ، فأذنت لهم بذلك ، كما رغب القيصر في رؤية السيد « جمال الدين » ودعاه الى قصره ، وفي ضمن المباحثات معه سأله عن أحوال ايران ، وعن سبب خلافه مع الشاه ، فأخذ السيد يقص عليه كيف يستبد الشاه بأمر رعيته ، وكيف ينفق باسراف وسفه ، ثم كيف لا يريد ادخال الحكم الدستوري في بلاده ، فقال له القيصر : « اننى أرى الحق مع الشاه ، اذ كيف يرضى أى ملك من الملوك أن يتحكم فيه فلاحو مملكته ؟ » فقال السيد له : « أعتقد يا جلالة القيصر ، أنه خير لعرش الملك أن يكون ملايين الرعية أصدقاء له بدلا من أن يكونوا أعداء ، يترقبون الفرص ، ويكمنون في الصدور سموم الحقد ونيران الكراهية » .

وقد أدت هذه الصراحة والجرأة من السيد « جمال الدين » الى أن طلب القيصر الى حاشيته أن تعمل على ابعاد هذا الرجل ، وقد ذكر « جمال الدين الافغانى » : أنه مكث أربع سنوات في « بطرسبورج » وأن « ناصر الدين » زار هذه المدينة في أثناء اقامته بها ، ورغب في لقائه فأبى أن يحقق رغبته ، ولما خرج من « بطرسبورج » ، اتجه غربا قاصدا « ميونخ » ، وهناك لحق به الشاه ، وطلب أن يلقاه مرة ثانية ، ومازال يلح في الطلب حتى استجاب له ، وانتهى بأن قبل السفر معه . يقول : « عبد القادر المغربي » في حديث ، سمعه من « جمال الدين الافغانى » قال السيد : « جئت (بطرسبورج) ، فمكثت فيها أكثر من أربع سنوات ، وفي خلال هذه المدة زارها الشاه وأحب الاجتماع بى ، فلم أرغب في مقابلته ، ثم سافرت الى « ميونخ » من بلاد الألمان ، فجاءها الشاه أيضا ، فامتنعت عن مقابلته ، فتوسط بيننا بعض كبار الرجال الالمانيين ، وغيرهم ، فاجتمعنا ، وطلب منى الذهاب الى بلاده ، كى يجعلنى رئيس وزرائه ، فأبيت ، وقلت له انى متهىء للسفر الى باريس ، لمشاهدة معرضها لسنة ١٨٨٩ م ، ولكن الشاه أخذ يلح على الحاحا شديدا ، فلم أجد مناصا من اجابة طلبه ، والذهاب معه » قال السيد « جمال الدين » ومن جملة قول الشاه في : « هذا الرجل السياسى الحربى ، اللائق أن يكون رئيس وزارة ، يقوم فيها بتدبير الأمة » .

« عودة السيد جمال الدين الافغانى الى ايران »

لما عاد السيد جمال الدين الى ايران ، كان اقبال الناس عليه فى هذه المرة أشد منه فى المرة الأولى ، وبدأ السيد الاصلاحات العامة وكانت خطبه وندواته ومقالاته كلها لأجل خير الشعب ومنافع العامة ، فطلب اليه رجال التشريع أن يضع لهم أسسا دستورية للحكم ، وأن يسن لهم قوانين ترد المظالم عن الناس ، وتقهر الحاكمين على احترامها ، لكى تحقق العدالة فى هذه البلد الذى كادت تنمحي فيه معايير الحق والخير ، وكذلك رغبوا اليه أن ينظم الاداة الحكومية ، ويظهرها من مفايدها ، وأن يخفف من وطأة التقاليد الجائرة ، وأن يشرع فى ارساء قواعد الحكم النيابى ، الذى يحد من سلطان الشاه وجبروته ، حتى لا يسوق الوطن الى الخراب ، بسبب ائتلافه وتبذيره ، وكان الحماس على أشده فيما يتصل بالاصلاح الدستورى ، غير أن الحال ما لبث أن تبدل ، وظهرت بوادر الشر ، وانطلق دعاة الرجعية يوقعون بين الشاه وجمال الدين ، وكان الصدر الاعظم « ميرزا على أصغر خان » أكثر هؤلاء حقدا على الافغانى ، وذلك لأن الصدر الاعظم كان يخشى من مكانة الافغانى لدى الشاه ، فنصح الشاه ألا يتعجل فى منح الحياة النيابية لشعبه ، لان هذا النوع من الحكم معناه نزع السلطة من يده ، أو التضيق عليه على الأقل .

وكان هذا الصدر الاعظم منصرفا الى منح الامتيازات الاقتصادية لكل من انجلترا وروسيا . يقول المخزومى فى خاطراته عن « جمال الدين الافغانى » : قال الشاه للافغانى : « أيسح أن أكون يا حضرة السيد وأنا ملك ملوك الفرس (شاهنشاه) كأحد أفراد الفلاحين » . فقال السيد :

« اعلم يا حضرة الشاه أن تاجك وعظمة سلطائك وقوائم عرشك ، ستكون بالحكم الدستورى أعظم وأنفذ وأثبت مما هى الآن ، والفلاح والعامل والصانع فى المملكة يا حضرة الشاه أنفع من عظمتك ومن أمرائك ، واسمع لاخلصى أن أؤديه صريحا قبل فوات وقته ، لاشك يا عظمة السلطان أنك رأيت وقرأت عن أمة استطاعت أن تعيش دون أن يكون على رأسها ملك ولكن هل رأيت ملكا عاش دون أمة ورعية؟ » . ثم أدرك الافغانى ان مرحلة النضال أوشكت أن تبدأ ، فغادر العاصمة ، واتجه الى مكان يعظمه

الايروانيون وهو مشهد «عبد العظيم» شاه ، على مسافة اثنى عشر ميلا من طهران وكان هذا المقام ملجأ وخرما ، من دخله كان آمنا ، غير ان « جمال الدين » لم يلجأ اليه لكى يلزم الصمت ، فقد أخذ يثير الرأى العام ضد الشاه ، واستمر يلج فى الحديث عن ضرورة الاصلاح الدستورى ، الذى ستكون فيه نجات ايران من الاستعمار ، وظل على أمره هذا ثمانية شهور رقيق سبعة شهور ، عظم فيها شأنه وخطره ، حتى أرسل «ناصر الدين» خمسمائة جندي بسلاحهم ، فهجموا على مقام «عبد العظيم» شاه ، وقبضوا على « جمال الدين » رغم مرضه الشديد ، وأخرجوه من ملجئه ، وقاده خمسون منهم الى (خانقين) على الحدود العثمانية ، فى أوائل سنة ١٨٩١ ميلادية وقد قص الافغانى قصته فقال : وأما قصتى وما فعله هذا الكنود الظلوم معى ، فمما يفتت أكباد أهل الايمان ، ويقطع قلوب ذوى الايقان ، ويقضى بالدهشة على أهل الكفر وعباد الأوثان ، ان ذلك اللثيم ، أمر بسجنى وأنا متحصن بحضرة « عبد العظيم » عليه السلام ، فى شدة المرض على الثلج ، الى دار الحكومة بهوان وصغار وفضيحة ، لا يمكن أن يتصور دونها فى الشناعة (هذا كله بعد النهب والغارة) . . . ثم حملنى زبائنته الاوغاد ، وأنا مريض على برذون مسلسل فى فصل الشتاء وتراكم الثلوج والرياح الزمهريرية وساقنى جحفة من الفرسان الى « خانقين » وصحبنى جمع من الشرطة .

» اقامة

السيد بالبصرة »

طرد السيد « جمال الدين » من ايران ، فى أوائل سنة ١٨٩١ م ، فلما بلغ البصرة أكرمه « هدايت » باشا والى البصرة ، وكان رجلا صالحا ، متقدما فى السن ، وقد أقام السيد بالبصرة نحوا من سبعة أشهر ، وفى تلك الفترة استأنف جهاده ضد «ناصر الدين» شاه ، وكان أول ما فعل أن أخذ يحرض عليه رجال الدين ، فكتب الى «ميرزا محمد حسن» الشيرازى كبير مجتهدى الشيعة فى (سامراء) رسالة عظيمة فيها كثيرا ، ثم أخذ يذكره بخطورة منصبه ، ومقامه فى النفوس ، بحيث لو أهمل شأن الأمة لحظة واحدة لاختلت المشاعر ، وارتجفت الأفتدة ، وانتكست العقائد ، ولذا فانه انما يكتب اليه لكى يؤدى الامانة التى فى عنقه ، وأخذ السيد «جمال الدين» يلفته الى حال ايران ، وبعد هذا كتب له مبينا أن كلمة «واحدة» من امام المجتهدين كفيلا بجمع شمل الأمة ،

وبالقضاء على هؤلاء الخونة ، ممن طفقوا يبيعون بلادهم بثمن بخس وذكر السيد « ميرزا محمد حسن الشيرازي » تدخل الانجليز في مسائل ايران ، وشئون الاقتصاد الايراني ، وما لهم من الاغراض ، وفي الآخر كتب له : تلك هي الحال التي انتهت اليها ايران ، بفضل مليكها ، ووزيره الناصح الأمين ، فاذا لم يقم امام المجتهدين بعمل حاسم ، فستضيع ايران ، وتصبح حوزة الاسلام تحت سيطرة الأجانب ، ولو فاتته هذه الفرصة للوقوف في طريق تلك الكارثة لما كان خليقا أن يترك بعده ذكرا حميدا ، فأثارت هذه الرسالة حمية الشيرازي ، وحركت غيظه ، فأصدر فتوى يحرم فيها تدخين التبغ ، الذي كانت انجلترا قد احتكرته منذ سنة ١٨٩٠ م ، وأرسل هذه الفتوى الى العلماء ، والوعاظ ، فأذاعوها ، وانصرف الناس عن التدخين ، واضطر « ناصر الدين » الى أن يفسخ عقد الشركة الانجليزية ، بعد أن عوضها بنصف مليون من الجنيهات ، وهكذا استطاع الأفغاني أن ينقذ ايران من احتلال انجلترا لها عندما أبطل أهم مقدمات هذا الاحتلال وهو السيطرة الاقتصادية .

ولما شفى من مرضه ، وصبح وجوده ، رغب في الذهاب الى جزيرة العرب ، لكن الوالي استمهله قليلا ، لكي يعلم رأى السلطان عبدالحميد ، يأذن « جمال الدين » أم يحتجزه عنده ؟ وجاء الأمر من الآستانة برفض السفر ، فعلم الأفغاني أن المنع انما جاء من تركيا ، فعاد يطلب أن يؤذن له بالسفر الى انجلترا ، فاستمهله الوالي مرة أخرى ، حتى يرجع الى ذوى الأمر في الآستانة ، فجاءه الاذن بالسفر ، فأسرع « جمال الدين » بالرحيل قبل أن ينقض هذا الأمر ، وكان محققا في سرعته ، اذ مالبت أن جاء أمر آخر يحظر عليه مغادرة البصرة ، لكنه كان قد رحل .

ويقال ان الأفغاني لما أراد مغادرة البصرة لم يكن يملك سوى عشرة جنيهاً ، فتشاور أعيان المدينة فيما بينهم الا يتركوه يرحل بهذا المال القليل ، وجمعوا له شيئا من العون بلغ خمسمائة جنيه ، تبرع الوالي بخمسين جنيها منها وقدم المال كله اليه ، فقبله من وإلى البصرة « هدايت باشا » ، لانه كان يحترمه ويبجله ، ولولا ذلك لأبت عليه همته أن يأخذ منه شيئا ، ثم قال له اني أرجو أن أرد اليك هذا الصنيع يوما ما ، ثم أتاحت له الأيام أن يحسن الى عائلة الوالي ، وهو أن السيد « جمال الدين » الأفغاني في أيام أن كان في الآستانة ، للمرة الثانية زاره « عبد الحميد الرافعي » ، قاضي البصرة ، فسأله أول ما سأل عن « هدايت باشا » ، فأخبره : بوفاته ، ثم استفسره عن حال أهله فقال : هم في ضيق المعيشة

فسعى السيد « جمال الدين » الأفغانى لأجل رفاھيتهم ، حتى سجل حفيد « هدايت باشا » فى سجل أبناء الاشراف ، والبيوت القديمة ، وخصص له ثلاثين جنيها شهريا ، كما استطاع أن يخصص لأرملته خمسين جنيها شهريا .

« جمال الدين الافغانى فى انجلترا »

ذهب السيد الى لندن ، وعنده أهداف ، هى أنه يريد أن يحصل الأفكار الاستعمارية للانجليز ، ويفهمهم بأن الخير لهم وللناس جميعا أن يؤيد الحق ، ويعم السلام ، وأيضا هو يريد أن يحقق الاتفاق ، والتعارف وحسن المعاشرة ، بين أهل الشرق والغرب ، لأجل هذا قد اشترك هناك فى تأسيس صحيفة شهرية سميت « ضياء الخافقين » ، وكانت تصدر باللغتين العربية والانجليزية ، وقد نشرتها إحدى الشركات الانجليزية ، التى زعمت أنها تعمل على تحقيق الاتفاق ، والتعارف ، بين أهل الشرق والغرب ، وظهر العدد الاول منها فى فبراير سنة ١٨٩٢ م ونشر فى عددها الثانى الرسالة التى كان قد كتبها السيد « جمال الدين » إبان وجوده فى البصرة الى العلماء المجتهدين فى ايران .

وكتب السيد « جمال الدين » فى صحيفة « ضياء الخافقين » مقالا فضح فيه سوء الحالة الاقتصادية فى ايران ، ووصفها بأن الخراب يبسط ظله عليها ، فأهلها يسكنون من فقرهم دورا حقيرة ، بينما يقسو الحاكمون فى تعذيب رعايائهم ، ويستخدمون فى ذلك وسائل همجية ، كجذع الأنوف ، وقطع الآذان ، وشق البطون ، ونجز الرؤوس ، الى درجة أن رؤية مثل هذه الافعال غدت شيئا مألوفا ، فالحكم لا يسير على أساس من القانون ، أو العقل ، وانما مرجعه القهر والسيف . فلما تدهورت الحالة السياسية والاجتماعية فى تلك البلاد ، اضطر أهلها الى الهجرة ، فاتجه فريق منهم نحو الولايات العثمانية ، وأبعد فريق منهم الى روسيا ، فاذا رأيت هؤلاء وهؤلاء ، وجدت قوما كانوا كراما فى بلادهم ، ثم أصبحوا يشغلون حرفا خسيصة ، ومزرية ، بين حمال ، وكناس . هذا الى أن من بقى منهم فى ايران كان يخضع لحكم الارهاب ، والفوضى ، والضرائب الباهظة وليس هناك دستور أو نظام أو قانون ، ويرجع ذلك الى أنه لم يكن لولاية الاقاليم رواتب محدودة ، فاستبد كل وال برعيته .

وانتشرت أساليب الرشوة ، كذلك لم يكن لأفراد الجيش أجر ، بل تركتهم الحكومة ومقدرتهم على السلب ، والاعتصاب ، ثم اختتم الأفغانى مقاله بقوله : « ليست هذه هى الأمة الفارسية ، التى أحييت العلوم فى العالم الاسلامى ، وأقامت الديانة على دعامة الحق ، بقوة براهينها ، وقومت اللغة العربية بعالى تصانيفها ؟ أسفا على هذه الأمة ! كيف أبادها الجور وبددها الظلم حتى سقطت عن عداد الامم العظيمة !! وكاد أن يندرس رسمها وينطمس اسمها . . أين العلماء ؟ وأين حملة القرآن وأين حفاظ الشرع والقائمون بأمر الأمة ؟ وأين نصراء الحق والعدل ؟ » .

وكان أثر هذا المقال بأمثاله شديدا فى نفس شاه ايران ، فبعث الى الأفغانى سفيره فى لندن ، يرجوه أن يكف عن أذاه ، غير أنه أساء اليه فى هذا الرجاء ، عندما عرض عليه مبلغا كبيرا من المال ، ثمنا لسكوته عنه ، فكانت هذه سببا فى غضب « جمال الدين » ، وكان السيد قد قال فى جواب السفير :

انه لن يترك الشاه حتى يلقى ربه . وزاد جزع شاه ايران ، حتى لجأ الى سلطان تركيا ، يستصرخه ، فكتب السلطان عبد الحميد ، الى « رستم باشا » ، سفيره فى لندن ، أن يقنع السيد « جمال الدين » الأفغانى فى أن يكف السيد عن شاء ايران وأمرائه .

وفى تلك الأحوال جاء سفير تركيا فى لندن يوما الى السيد يحمل خطابا ، من السلطان « عبد الحميد » ، يقول فيه : اننا مشتاقون لزيارتكم ويطلب منه السفر الى الآستانة ، فاستفسر السيد من السفير عن سبب هذه الدعوة ، فأجابه السفير قائلا : ان « عبد الحميد » معتزم أن يؤسس بمعاونتكم ، ومساعدتكم الكريمة ، اتحادا بين الممالك الاسلامية ، وفضلا عن ذلك فانه يرغب فى الافادة من آرائكم الرزينة ، فى تدوين بعض القوانين التى هو بصدددها . ولكن لم تؤثر تلك المباحثات ، والمطالب الرسمية على السيد .

وعندئذ لم يجد سلطان تركيا بدا الا أن يستخدم أحد رجال الدين للاحتيال عليه ، لأجل هذا قال السلطان لأبى الهدى (شيخ الاسلام) فى تركيا أن يكتب الى السيد « جمال الدين » ، وأن يعده ويمنيه ، حتى يرضى بالمجيء الى الآستانة ، ولم يكن السلطان فى هذا الاحتيال مشفقا على شاه ايران ، بل كان السلطان « عبد الحميد » يخاف من خطره وتدخله ، فى توجيه السياسة فى دولته أيضا ، خصوصا بعد أن علم

« عبد الحميد » - أن السيد اجتمع بنفر من رجال (حزب الفتاة التركي) في « باريس » . حيث تشاوروا معه فيما يجب عليهم أن يفعلوه لاصلاح الدولة العثمانية ، فاذن كان السلطان يحرص على أن يحتفظ به على مقربة منه حتى يستطيع مراقبته .

« اتجاه السيد جمال الدين

الى تركيا مرة ثانية

وما حدث له هناك »

اغتر السيد جمال الدين بما كتبه اليه أبو الهدى ، لأن كتابته تعبر عن أهداف جمال الدين الافغانى ، وفيها مواعيد وتأييدات ، بأن تركيا - فى الوقت نفسه - مستعدة لنشر أفكار السيد ، وتطبيقها ، فلأجل ذلك سافر الافغانى الى تركيا فلما بلغ الأستانة احسن السلطان استقباله ، وأرسل ياوره الى استقباله ، فلما نزل الى الميناء ، سألته عن صناديقه فقال : ليس معى غير صناديق الثياب ، وصناديق الكتب ، فلما طلب الياور أن يدلّه عليها ، أشار الافغانى الى صدره ، وقال صناديق الكتب ها هنا ، وأوما الى جنبه ، وقال : وهذه هى صناديق الثياب .

وعين السلطان لجمال الدين الافغانى مرتبا هو خمسة وسبعون جنيها شهريا ، وأنزله فى قصر جميل ، وخصص له غرفة ، وحشما ، وخداما ، وكان بعض هؤلاء لخدمته ، وبعضهم يتجسس عليه ، ثم عرض عليه أن يزوجه بأحدى كرائم الاسر ، لكنه لم يقبل . كما حكى عن السيد أنه قال : يريد السلطان أن أتزوج ، مالى والزواج انى ما تزوجت هذه الدنيا العظيمة الجميلة ، فكيف أتزوج بامرأة ؟

أخذ السيد يضع المناهج ، لاصلاح المدارس ، لتخريج جيل جديد يمهض بأعباء هذه الدولة الكبرى ، ويضع الأسس لانشاء جامعة اسلامية ، من تركيا ، والممالك العربية وافغانستان ، وايران ، وكان مقربا الى السلطان فى الفترة الاولى من اقامته ، يدخل عليه متى شاء ، ويصلى معه الجمعة ، ولكن لم يقبل جمال الدين ما كلفه به السلطان عبد الحميد من الوظائف ، والرتب ، مثل مشيخة الاسلام ، وكذلك لم يقبل النياشين ، معتذرا بقوله « ان وظيفة العالم ليست بمنصب ذى راتب ، بل بصحيح الارشاد والتعليم ، ورتبته ما يحسن من العلوم ، مع حسن العمل بالعلم »

وكان السيد جمال الدين إبان إقامته في الآستانة ، يحيى ليالى شهر رمضان حتى أوقات السحور فى المحاورات العلمية ، والمذكرات الفلسفية ، مع المعارف ، والادباء ، والفضلاء ، وساسة الشرق ، فى دار الضيافة السلطانية (بمحلة التشويقية بنشانطاشى) .

وكانت صلات السيد بعبد الحميد قوية جدا ، فى ظاهر الامر ، ولهما اجتماعات خاصة ، حتى انه فى أحد اجتماعاتهما الخاصة التى جرت بينهما ، خاطب السلطان السيد بقوله : ان ملتقى فى حضرتك ان تبدل غاية الجهد ، حتى نستطيع بتوحيد آرائنا ومساعدة حضرتكم أن ننشئ ونؤسس اتحادا ، واتفاقا قويا ، ثابت الاركان ، لا يقبل الخلل ، بين الشعوب الاسلامية ، حتى يمكن بفضل تلك الوحدة ، ان تمتد أمم الجامعة الاسلامية يد المودة والاخاء ، بعضها الى بعض ، وتنهض بالصناعة والعلوم ، فى ظل الاستقلال القومى ، والاتحاد الاسلامى ، ولكى يصل اليها التوفيق بعون الله تعالى ، لاسترجاع تلك القوة العظيمة السابقة ، ولا تتأخر عن ركب السعادة والرقى . ولما كان الهدف الاسمى الذى يرمى اليه السيد جمال الدين والغاية القصوى لأمانيه الاصلاحية من بدء حياته السياسية والاجتماعية ، أن يواصل جهاده لتحقيق هذا الغرض الذى أشار اليه السلطان فقد قبل السيد اقتراح السلطان بخالص السرور ، وغاية الترحيب وتعهد للخليفة أن يبذل قصارى جهده ، ويضحي بالروح فى سبيل هذا الهدف العظيم ، كما نهض منذ تلك الساعة بعزم حديدى . واردة قوية كالجبل الراسخ ، بتنفيذ هذه المهمة العظمى .

وبعد عدة جلسات خاصة ، دارت بين السيد والسلطان فى الآستانة ، آراء بشأن الوحدة الاسلامية ، اقترح السيد فى ضمن خطته : أن تنتخب حكومة كل بلد اسلامى ممثلا ، ويختار كل شعب اسلامى شخصا ، من أكبر علمائه ، ليجتمعوا فى الآستانة ، فى مؤتمر عال ، باسم « المؤتمر الاسلامى الاعلى » وكان غرض السيد من تشكيل هذا المؤتمر الاسلامى هو ايجاد تعاون بين المسلمين ، لنهضتهم ، وتكاملهم ، واستعادة السلطان الاسلامى وعظمته ، فان اعتدت دولة أوروبية على مملكة اسلامية ، يصدر هذا المؤتمر الاسلامى الأعلى أمرا بالجهاد المقدس ، لكافة المسلمين فى العالم ، فينهضون لمحاربة تلك الدولة ، بقوة السلاح ، فضلا عن وقف العلاقات التجارية والاقتصادية معها .

وبعد أن تم الاتفاق بين السيد والسلطان ، على المواضيع الآتية الذكر ، أفضى السيد بهذا الحديث الى خواص رفاقه وأتباعه .

وقد ألقى السيد خطابا مؤثرا في هذا المعنى ، وأطلع الحاضرين على حقيقة أهدافه .

« خطاب السيد جمال الدين الأفغانى » (١)

« الديانة الإسلامية في الوقت الحاضر هي بمثابة سفينة وربانها محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، وركاب تلك السفينة المقدسة كافة المسلمين ، خاصتهم ، وعامتهم .

وفي وقتنا الحاضر اشرفت هذه السفينة على الفرق ، في بحر السياسة العالمية ، كما تعرضت لخطر الطوفان ، ولعل الحوادث الدبلوماسية والدسائس الدولية تؤدي الى اغراق هذه السفينة ، وتحطيمها فما حيلة ركبائها ؟ وهى مشرفة على الفرق وما هو تدبيرهم ؟ فهل يجب على ركب هذه السفينة أن يبذلوا جهدهم ، لحراستها وانقاذها من الطوفان والفرق ؟ أم يظلوا مختلفين فيما بينهم منبعين أغراضهم الشخصية ، وأهواءهم الذاتية » .

فأجاب الحاضرون : انه يجب على كل مسلم وطنى ، أن يبذل كل ما فى وسعه لحفظ بيضة الاسلام ، ونجاة هذه السفينة المقدسة ، وتعهدها جميعا أن يبذلوا كل أنواع المساعدة ، والا يرضنوا بالتضحية فى سبيل تحقيق آراء السيد السامية ، وأخيرا توحدت كلمة السيد ، ومخلصيه ، وتلاميذه ، وزملائه ، فى القيام للعمل لأجل الوحدة الإسلامية .

وقرر السيد أن يكتب الى أكابر العلماء وزعمائهم المبادئ الأساسية ، مؤيدة بالدلائل القطعية ، والوثائق القوية ، فى رسائل موحدة المعنى ، وأن يكتبوا الى كل من يعرفونهم بشأن تلك الامور ، وأن يحثوهم على العمل فى سبيلها ، ولهذا حرروا ما يقرب من خمسمائة رسالة بالسنة مختلفة ، وأرسلوها الى كافة البلاد ، الى الهند ، ومصر ، والجزائر ، وطرابلس وبلاد الشام ، والحجاز ، وسائر الاقاليم الإسلامية . وعزم السيد على أن يوفد ستة أشخاص من رفقائه وأتباعه الذين يتكلمون اللغات الشرقية الى الاقطار المعنية ، للدعوة الى أهداف وحدة المسلمين . ولم تمض مدة حتى وصلت الردود الطيبة ، على كل تلك الرسائل ، من

(١) أخذته من الكتاب الذى ترجمه عن الفارسية صادق نشأت وعبد النعيم حسنين بعد ما وجدت تأييدا من منابع أخرى ص (١٠٠ - ١٠٦) .

قبل كافة الطبقات ، فى المجتمع الاسلامى ، سواء أكانوا من العلماء ، أم من غيرهم ، وتقبلوا الدعوة بقبول حسن ، وسرور ، بالغ ، وقد أرسل بعضهم هدايا ، وتحفا تاريخية - بواسطة فيلسوف الاسلام السيد جمال الدين - الى السلطان عبد الحميد ، وكان بعضهم قد الحق برسائله أدعية وتعويذات للسلطان العثمانى ، فأمر السيد بأن تترجم كل تلك المراسلات من الألسنة المختلفة ، الى اللغة التركية ، وأن يرفق أصل كل منها بترجمته ، وحملها الى حضرة السلطان عبد الحميد . وقد سر السيد سرورا بالغا بنجاحه فى خدمة الاسلام ، وقرا السلطان عبد الحميد كل تلك الرسائل فى دقة ، وهنا السيد على ما حصل من التوفيق على يديه ، واستولت عليه الحيرة ، والتعجب ، من نفوذ كلمة السيد ونفاذ أمره فى هذا الامر الخطير ، فقال للسيد : الآن وقد وفقنا بعون الله ومساعدة حضرتكم فى الحصول على الشطر الاعظم من مقصودنا ، فيجب علينا أن نبدأ المرحلة الثانية ، أى دور التنفيذ ثم قال السلطان : من المصلحة تحويل هذا الغرض المهم الى الباب العالى ، والصدارة العظمى ، وأن تجعل شيخ الاسلام متحدا ، ومتفقا معك فى هذا الشأن . فقبل السيد ثم بعد أن حولت خطة وحدة الاسلام والمسلمين الى شيخ الاسلام ، والصدر الاعظم ، تغير لون موضوع الاتحاد الاسلامى بسبب الخلافات والمؤامرات التى نشأت ، وزادت الخلافات والمؤامرات يوما بعد يوم ، وفى غضون هذه الاحوال انتهز أعضاء حزب الفتاة بتركيا الفرصة للمطالبة بالحكم النيابى .

ودعت هذه المسألة - نظرا لنفوذ السيد - الى تخصيص مايزيد على ثلاثة عشر ألفا من رجال الشرطة السريين ، لمراقبة الشخصيات البارزة من الاجانب ، والمواطنين ، ووكلوا الى عشرة من الجواسيس ، تتبع حركات السيد جمال الدين بصورة خاصة ، وراقبوا أصدقاءه ، ورفقائه ، وأتباعه ، مراقبة شديدة ، لكن مع هذا أخذ السيد يتحدث الى السلطان عن الثورى ، وينصحه بالنصائح الاجتماعية والسياسية لمصالح العامة ، والسلطان يتظاهر بالاستماع اليه ، لكن فى الباطن يخاف من أهداف السيد ، ونفوذه ، لأجل هذا تحرك الخلاف بين السيد وأبى الهدى ، حتى أن أبى الهدى يحاربه فى الخفاء ، ويصفه بالزندقة والكفر ، ومن ناحية أخرى كانت لهجة السيد صريحة وفيها جرأة كثيرة ، مما جعل السلطان يخاف منه خوفا كثيرا .

وكان السيد جمال الدين يذكر « ناصر الدين » شاه ايران فى مجالسه الخاصة ، ويقدم فيه ، فشكا سفير ايران من ذلك ، فطلب السلطان السيد

الافغانى ، وقال له : ان سفير العجم ترجانى فى ان اتكلم معك فى الكف عن الواقعة فى الشاه ، وأنا بناء على أمل فيك ، وعدته أن تكف عنه ، وكان ذلك بعبارة غاية فى اللطف ، وكمال الدعة ، وكان فى يد جمال الدين مسبحة فجمعها بكفه ، وقال بصوت جهورى : امتثالا لاشارة أمير المؤمنين فانا من الآن قد عفوت عن (الشاه ناصر) ، فقال السلطان : بحق يخاف منك الشاه خوفا عظيما . وخرج جمال الدين على عادته من حضرة السلطان الى حجرة رئيس القراء ، فقال الرئيس له بلطف : يا حضرة السيد ان اجلال السلطان لحضرتك لم يسبق له مثيل ، واليوم رأيناك تخاطبه بلهجة غريبة ، وأنت تلعب بالمسبحة فى حضرتك . فقال جمال الدين - سبحان الله - ان جلالة السلطان يلعب بمقدرات الملايين من الامة على هواه ، وليس من يعترضه منهم ، أفلا يكون لجمال الدين حق أن يلعب بمسبحته كيف شاء ؟ فترك رئيس القراء حجرته مهرولا خائفا، من هذا الكلام بهذه اللهجة ، خشية ان يوشى به لدى السلطان . والسيد جمال الدين لم يكف عن الطعن فى شاه ايران والتحريض عليه الا بعد أن أنزله لحده كما أقسم من قبل . قيل انه لقي السيد فى الآستانة أحد رفاق سجنه فى ايران ، أيام أن غضب عليه الشاه ، فجعلا يتحدثان عن بؤس ايران ، وما حل بأهلها ، بسبب جور أميرها ، وسفه بطانته ، وقد أثرت هذه الصحبة فى أعماق قلب رفيقه ، وهو « محمد رضا اغا خان » وقال انى حاضر لأقدم نفسى فداء لايران. ويقال ان الافغانى وافقه على مانوى، وذهب محمد رضا الى ايران ، واغتال الشاه فى مشهد عبد العظيم شاه فى ١١ مارس سنة ١٨٩٦ م وقال له وهو يطعنه :

« خذها من يد جمال الدين » ولما جاء نبأ الاغتيال الى الآستانة لم يخف الافغانى ارتياحه له بل يقال انه أظهر سروره ، وجعل يمدح قائل الشاه (١) ، ولم يكذ السلطان عبد الحميد يسمع بهذا النبأ حتى زاد فزعا من السيد وأمر بمضاعفة الرقابة على ضيفه ، حتى لايفتك به أيضا ،

(١) ذكر فى مجموعة الثلاثين من جريدة (تام) فى باريس ، أن مراسل جريدة (تام) فى الآستانة طلب يوما مقابلة السيد بعد مقتل « ناصر الدين شاه » ، وسأله : ما رأيكم فيما ينسب للبعض اليكم من التحريض على قتل ناصر الدين شاه فاجابه السيد فى حدة وغضب : « انى لم اتزل الى هذا الحد بأن ألوث يدي ، بالاشتراك فى أعمال شغب دنىء وضيع كهذا ، فتبا لهؤلاء القوم وتبا لملكهم » .

على كل حال سواء وقع من السيد التحريض على قتل « ناصر الدين شاه » أم لم يقع ، وسواء وافق السيد على مانوى محمد رضا اغاخان من قتل شاه ايران أم لم يوافقه فان الذى لا شك فيه أن السيد أظهر سروره بقتله .



(هذه صورة السيد بعد العملية الجراحية)

وأصبح جمال الدين سجيناً في قصره ، وأُحس بمرارة هذه العزلة ، فأرسل إلى مستشار السفارة الانجليزية في تركيا ، يطلب إليه أن يعمل على إخراجه من الآستانة (١) ، فلما علم السلطان بعزمه وإقدامه ، أرسل إليه يستعطفه ، باسم الاسلام ، ألا يلجأ إلى حماية دولة أجنبية ، وثارت حمية الافغان مرة أخرى ، ورضى بسجنه ، وأخبر المستشار الانجليزي ، أنه عدل عن السفر ، وبعد عدة أشهر ظهرت عليه اعراض مرض السرطان ، في فمسه ، فأجريت له عملية جراحية ، أخفقت ، ويقال انها أخفقت عن قصد ، وتوفي في صبيحة يوم الثلاثاء ٩ مارس سنة ١٨٩٧ م (في ٥ شوال سنة ١٣١٤ هجرية) - انا لله وانا اليه راجعون - (٢) .

وقد شيعت جنازته بالاحتفال اللائق ، ودفنت جثته في قرافة « شيخلر مزارلقى » أى مقبرة المشايخ . لكن ذكر « المقطم » فى عدد ١٨ مارس من السنة التى مات فيها الافغانى ، انه لما تحقق اتباع السلطان من موت جمال الدين صدرت الاوامر بضبط أوراقه ، وسائر تركته ودفن كما يدفن الرجل العادى ، ومما يؤسف له أن قبر الافغانى بعد مدة كان فى مرتبة النسيان ، حتى كشف عنه أحد المستشرقين الامريكيين ، وبني عليه مقبرة وكتب هذه الكلمة على أحد جوانبها « انشأ هذا المزار ، الصديق الحميم للمسلمين . فى أنحاء الارض ، العالم الخير الامريكاني ، المستر « شارلس كرين » سنة ١٩٢٦ م » . (٣)

ثم فطن العالم الاسلامى - بعد سنوات عديدة - الى ضرورة تكريم هذا الرجل ، الذى وهب حياته فداء للاسلام والشرق ، فرأى المسلمون أن يحتفلوا به ويحيوا ذكراه ، فنقلوا رفاثته الى بلاد الافغان فى سنة ١٩٤٤ ، ودفن هناك فى مدينة (كابل) عاصمة افغانستان ، فى منطقة (على أباد) ، وبني عليه بناء عظيم الشأن .

وكان السيد جمال الدين الافغانى فى أيام يأسه فى الآستانة - يذكر مصر والمصريين كثيراً ، ويقول « ان مصر احب بلاد الله الى ، وقد تركت لها الشيخ محمد عبده طوداً من العلم الراسخ .. » (٤) وقد روى

(١) وانما رجع الى سفارة بريطانيا ، لئتم رسالته ، لعلمه أن دولة تركيا ، وحكومة عبد الحميد ، لا يمكن أن تتحول من قسوتها ، وظلمها له فى حبسه ، الا اذا جعل السفارة الانجليزية وسيطاً له .

(٢) لبث السيد فى الآستانة فى هذه المرة أربعة أعوام .

(٣) جمال الدين الافغانى (دكتور محمود قاسم) ص (٨٤ ، ٨٥) .

(٤) اعلام الاسلام - محمد عبده - لعثمان أمين . ص (٢٦ - ٢٧) .

عن المخزومي باشا ، الذي عاشر السيد الافغانى ، ولازمه فى استنبول ، أن السيد كان شديد الإعجاب بشخصية محمد عبده ، كثير الثناء على أخلاقه ، فكان كلما ذكره يقول «الصديق» أو « صديقى الشيخ » والظاهر أن ذلك أثار بعض الغيرة فى قلب « السيد عبدالله النديم » ، وكان ممن يرتادون مجلس جمال الدين فقال ذات يوم : « ايها السيد ما غفلت مرة عن اضافة لفظ «الصديق» الى الشيخ كأنه لم يكن لك بين الناس صديق غيره ، اذ نراك تنعت من سواء بلفظ « صاحبنا » أو « فلان من معارفنا » فتبسم عند ذلك جمال الدين ، وقال : « وأنت يا عبد الله صديقى ، ولكن الفرق بينك وبين الشيخ محمد عبده ، أنه كان صديقى على الضراء ، وأنت صديقى على السراء ، فسكت « عبدالله النديم » (١) .

كتب الاستاذ « احمد امين » فى كتابه « زعماء الاصلاح فى العصر الحديث » ما نصه :

لقد قصدت الآستانة سنة ١٩٢٨ م ، بعد إرفاته بإحدى و ثلاثين سنة ، فرأيت واجبا أن أزور قبر هذا الرجل العظيم ، واستعيد عنده ذكرى عظمته ، وسلسلة أعماله ، فسألت عنه الكثير ، فلم يعرفه ، ورأيت رجلا افغانيا ، يعمل خازنا لمكتبة الشهيد « على » ، فوصف مكانه لى ، فذهب معى صديقى « العبادى » ، عصر يوم الاحد (٨ يوليه) الى «ماجقة» أو « متشكة » ، فوجدت فى ربوة على مدخل «البوسفور» ، مقبرة قد انتشرت فيها المدافن ، ودلنا شيخ المقبرة على مدفن السيد ، فعلمنا أن قبره كان قد تشعث ولم يعن به أحد ، وكادت تضيع معالمه ، ولم يفكر فيه أحد من أهل الشرق الذين أفنى فيهم حياته ، وانما ذكره مستشرق أمريكي ، حضر الى الآستانة سنة ١٩٢٦ م ، ونقب عن قبره ، حتى وجده فبنى عليه تركيبة جميلة من الرخام ، وأحاطها بسور من حديد ، وكتب على أحد وجوه التركيبة اسم السيد وتاريخ ولادته ووفاته ، وفى وجه آخر كتابة تركية ، ترجمت لنا كما يأتى : « انشأ هذا المزار ، الصديق الحميم للمسلمين ، فى انحاء العالم ، الخير الأمريكانى ، المستر « شارلس كرين » سنة ١٩٢٦ م » وقفنا على قبره وقلت : هنا رقد محيى النفوس ، ومحرز العقول ، ومحرك القلوب ، وباعث الشعوب ، ومزئزل العروش ، ومن كانت السلاطين تغار من عظمته ، وتخشى من لسانه ، وسطوته ، والدول ذات البنود (٢) تخاف من حركته ، والممالك الواسعة الحرية تضيق نفسا بحريته .

(١) اعلام الاسلام - محمد عبده - لعثمان أمين . ص (٢٦ - ٢٧) .

(٢) البنود : الرايات .

هنا خمد من كان يشعل النار حيث كان ، في الافغان ، في مصر ،
في فارس ، في باريس ، في لندن ، في الآستانة • هنا باذر بذور الثورة
العربية ، ومؤجج النفوس للثورة الفارسية ، ومحرك العالم الاسلامي كله
لمناهضة الحكومات الاجنبية ، والمطالبة بالاصلاحات الاجتماعية • هنا من
حارب الحكم الاستبدادي في مصر ، وناصر الدين ، في فارس ، وانجلترا ،
وباريس ، وحارب الجهل ، والامية ، والذلة ، في الشرق ، والجاسوسية
والنفاق ، في الآستانة ، ولم ينتصر عليه شيء الا الموت (١) •

« حلية السيد جمال الدين الأفغاني »

قال الامام محمد عبده : « كان السيد جمال الدين متوسط القامة ،
قمحي اللون ، عصبى المزاج ، عظيم الرأس دون افراط ، عريض الجبهة
في تناسب ، واسع العينين ، ضخمة الوجنتين ، رطب الصدر ، جليل
المنظر ، هش (٢) ، بش عند اللقاء » وزاد البعض فقال : كان ذا أنف متزن
جميل ، كما كانت ذقنه ضخمة ، كان ذا شفتين غليظتين ، وحية كثة في
نهايتها ، خفيفة في العارضين •

« لقد كان لعينه بريق عجيب كأنه بريق النور الشديد في حلقة
الظلام » •

وايضا قالوا :

انه قوى الجسم ، قمحي اللون ، كعرب الحجاز ، وكانت عيناه
الواسعتان تنبعث منهما الجاذبية والسحر •

« عادات السيد جمال الدين الأفغاني »

كان السيد لا يهتم بأمر الدنيا ، ولم يتزوج ، وكانت حياته بسيطة
جدا • ويرتدى دائما احسن الملابس ، ويلبس على الاكثر الملابس
افغانية ، في بلاد الافغان ، والهند ، ومصر ، وأوروبا ، ويلف حول
قلنسوته قماشاً ابيض ، دليلاً على شرفه • ورغم انه قضى شطراً كبيراً

(١) زعماء الاصلاح في العصر الحديث ص (١١٥ - ١١٦) •

(٢) طلق الوجه •

من عمره في أوروبا ، فإنه لم يأخذ بعاداتها ، وتقاليدها ، وكان يتناول الشاي بكثرة ، ويدخن لفافات التبغ ، وكان ملما بأغلب العلوم ، واللغات ، ويتكلم اللغات الافغانية ، والفارسية ، والعربية ، والتركية ، والهندية ، والفرنسية ، والانجليزية ، والروسية ، وكان يعلم كل قوم بلغتهم .

وكان حريصا مدة اقامته في الآستانة على نظافة ملابسه ، وملتزما لشرائط الصحة ، فكان يقلل من تناول الطعام ، وكانت رغبته في الحوامض فوق ميله الى الحلو ، وأنه يأكل بيده ، بينما يتناول اضيافه طعامهم (بالشوكة والسكين) ، اذ لم يكن يأبه بعادات أهل زمانه وآدابهم في هذا الباب .

« أخلاق السيد »

أما أخلاقه فقد اجملها تلميذه الاستاذ محمد عبده بقوله (١) : « اما أخلاقه فسلامة القلب سائدة في صفاته ، وله حلم عظيم ، يسع ما يشاء الله ان يسع ، الا أن يدنو منه احد للمس شرفه ، أو دينه ، فينقلب الحلم الى غضب ، وهو كريم ، يبذل ما بيده ، قوى الاعتماد على الله ، لا يبالي ما تأتي به صروف الدهر ، عظيم الامانة ، سهل لمن لاينه ، صعب على من خاشنه ، طموح الى مقصده السياسي ، اذا لاحت له بارقة منه تعجل السير ، للوصول اليه ، وكثيرا ما كان التعجل علة الحرمان . » ويذكر محمد المخزومي باشا عن اخلاق جمال الدين ، فهو يخبر بأن جمال الدين كان مهيبا أكثر من أن يكون محبوبا في الوهلة الاولى ، وكان شجاعا جريئا كريما ، بل ربما بلغ كرمه درجة الاسراف ، وكان متواضعا مع من هو أقل منه مرتبة ، وربما بلغ التواضع به درجة التذلل الظاهري ، لكنه كان متكبرا مع الملوك ، والعظماء ، الى حد التجبر ، وتلك في الحق صفة الرجل الكريم ، الذي يضعف امام الضعيف ، ويشتهد أمام القوى ، وكان حاد الذهن ، قوى الحجة ، نافذ النظر ، يجذب مخاطبه اليه ، كما كان عظيم النفس ، كبير الهمة ، محبا للخير . وقد قيل في حق السيد : ان صراحته في الدعوة الى آرائه ، وجراته في التعبير عن تلك الآراء ، حالت دون نجاحه في كثير مما ارجه همته الى تحقيقه ، فإنه كان

(١) الحق : أن أخلاق السيد كما ذكرها الاستاذ محمد عبده اتفق عليها كل تلاميذه وان الكتب التي كتبت عنه متفقة عليها .

يضيق ببطانة السوء ، وخيانة الامراء ، وكان يغضب لتحالف رجال الدين الرسميين مع الطغاة ، فكان لا يستطيع بجبلته وخلقته الا أن يجابه كلا بحقيقته ، وعندئذ يكثر اعداؤه ، والكائدون له . ويذكر المحققون من تلاميذه ، أن صراحة السيد في الحق ، كانت سببا في نجاح دعوته العامة بعد موته ، اذ أن السيد لو فعل كما يفعل غيره من الشيوخ من المداهنة ، والصمت في موضع اظهار الحق ، لحقت صوته ، وماتت دعوته ، ولما خلفه فيها تلاميذ يدعون بها . وكان للافغانى قدرة عجيبة في الاستحواذ على قلب من يستمع اليه ، وهى تلك القدرة التى طالما غيظها عليه محمد عبده ، الذى يعترف لنفسه بالعجز عن مماثلة استاذه ، اذ كان الشيخ محمد عبده تؤثر فيه حالة المجلس ، والظروف التى تحيط به ، فلا يجد دافعا الى القول الا اذا وجد من محادثيه استعدادا لسماعه ، بينما كان جمال الدين يلقى الحكمة لمن يريد لها ، ولمن لا يريد لها ، ويجذب مخاطبه الى ما يريد هو ، وان لم يكن المستمع اليه على أهبة لما يلقى اليه ، فكان به قوة مغناطيسية ، أو طاقة روحية كبرى .

ويمكن تفسير ذلك بأنه كان صاحب ذكاء نادر ، وقريحة نافذة ، وقدرة عجيبة على تحليل المعانى ، والتعمق فيها ، واستقصاء دقائقها ، وعرضها بعد ذلك عرضا هينا يسيرا على العقول ، فلا يدع سبيلا الى ريب ، وهذا ما يسجله محمد عبده ايضا ، عندما يقول : « له سلطة على دقائق المعانى ، وتجديدها ، وابرازها فى صورها اللائقة بها ، كأن كل معنى قد خلق له ، وله قوة فى حل ما يعضل منها ، كأنه سلطان شديد البطش ، فنظرة منه تفكك عقدها ، وكل موضوع يلقى اليه يدخل للبحث فيه ، كأنه صنع يديه ، فيأتى على اطرافه ، ويحيط بجميع اكنافه ، ويكشف ستر الغموض عنه ، ليظهر المستور منه ، واذا تكلم فى الفنون حكم فيها حكم الواضعين لها ، ثم له فى باب الشعريات قدرة على الاختراع ، كأن ذهنه عالم الصنع والابداع ، وله لسان فى الجدل ، وحذق فى صناعة الجدل لا يلحقه فيها أحد ، الا أن يكون من لا نعرفه » .

وروى عنه أن أحد كبار الاوروبيين جعل يجادله ، ويفاضل بين الشرق والغرب ، فأفحمه الافغانى بقوله : « كفى بالشرق شرفا ، أن قام منه رجل ما زالت تعبده أمم أوروبا حتى اليوم » ويريد به المسيح عليه السلام .

ولقد قص عنه سعد زغلول (١) ، أنه ذكر لهم فى أحد مجالسه ،

(١) من كتاب دكتور محمود قاسم ص (٦٠) .

انه كان فى سفينة خيف عليها الغرق ، فرأى الصبية ، والنساء ، وضعاف القلوب ، من الرجال يضطربون ، فأخذ يؤكد لهم أن السفينة لن تغرق فى هذه السفرة ، ثم قال : ان هؤلاء القوم ظنوا بى القداسة ، عندما رأونى بعمامتى الخضراء ، فحسبوا اننى من دراويش الهند ، ممن يعلمون الغيب . مع أن الامر لا يعدو أن يكون غاية فى اليسر ، اذ لو غرقت السفينة لم أجد منهم أحدا يكذبنى ، وان سلمت ظفرت بالقداسة من أقرب سبيل .

« الفكرة المحركة للسيد جمال الدين الافغانى »

قال السيد : أول نظرة نظرتها فى الكون وأخفقت فيها ، اننى وضعت الكرة الارضية بين يدي ، وقستها ببعض الاجرام ، فرأيت منها ما يكبر الأرض بمئات الملايين من المرات ، ثم تمنعت فيما حوته من الحيوان الناطق « الانسان » فوجدته لا يتجاوز الالف وخمسمائة مليون تقريبا ، وهو مقدار زهيد بالنسبة لسطح الأرض ، ثم افترضت ذلك الجرم الذى يكبر عن الأرض بمائتى مليون مرة لو ان الرجل هناك يعيش الف سنة وان ذلك الرجل صاحب أراض واسعة فيه ، فتخيل لى انه يملك من الاراضى ما مساحته مساحة الكرة الارضية ، وان أولاده واحفاد احفاده من الممكن ان يبلغ عددهم اذا ازدوج بمئات النساء مع طول العمر عدد أهل الأرض هذه أو ما يزيد ، فاذا صح مع هذا الخيال ان تكون الأرض برمتها ملكا لرجل فى قرية من جرم المريخ مثلا ، ونسله عدد أهل الأرض ، هل يكون بين تلك القرية الذين هم أبناء رجل واحد مثل ما هم عليه أهل هذه الكرة من الاختلافات ؟

أجابنى الخيال : كلا بل يكون أهل القرية آمنين مطمئنين ، لاتحاسد بينهم ، ولا هم يحزنون ، يغرسون ، ويزرعون ، ويجنون فيأكلون . لا يعرفون للحرب معنى ، اذ لا ملك عليهم وليس بينهم اولو مطامع .

ملك شاسع واسع ، وخيرات مما يشتهون ، ويعبدون مع ابيهم صاحب القرية الها واحدا ، خالق الكل ، ومبدع الكائنات ، ثم رجعت لأهل جرم الأرض وبحثت فى اهم ما هم فيه يختلفون ، فوجدته (الدين) فأخذت الاديان الثلاثة ، وبحثت فيها بحثا دقيقا مجردا عن كل تقليد ، منصرفا عن كل تقييد مطلقا للعقل سراحه ، فوجدت بعد كل بحث وتنقيب وامعان ، ان الاديان الثلاثة الموسوية والعيسوية والمحمدية بعد

كل بحث وتنقيب وامعان ، على تمام الاتفاق في البدء والغاية ، واذا نقص في الواحدة شيء من أوامر الخير المطلق استكملته الثانية واذا تقدم العهد على الخلق وتمادوا في الطغيان ، واساءت الكهان فهم (الناموس) أو أنقصوا من (جوهره) أتاهم رسول بارفاد وتأيد فأكمل لهم ما أنقصوه واتم بذاته ما أهملوه وعلى هذا لاح لي بارق أمل كبير ان تتحد اهل الاديان الثلاثة ، مثل ما اتحدت الاديان في جوهرها وأصلها وغايتها ، وان بهذا الاتحاد يكون البشر قد خطا نحو السلام خطوة كبيرة في هذه الحياة القصيرة وأخذت أضغ لنظريتي هذه خططا ، واخط اسطرا ، وأحبر رسائل للدعوة كل ذلك وانا لم اخالط اهل الاديان كلهم عن قرب وكثب ولا تعمقت في اسباب اختلاف - حتى اهل الدين الواحد - وتفرقهم فرقا وشيعا وطوائف ، ولكن لما علمت ان دون اتحاد اهل الاديان تلك الهوات العميقة ، وأولئك المرازبة (١) الذين جعلوا كل فرقة بمنزلة (حانوت) ، وكل طائفة كمنجم من مناجم الذهب والفضة ، ورأس مال تلك التجارات ما أحدثوه من الاختلافات الدينية والطائفية والمذهبية على حد قول الشاعر :

قد يفتح المرء حانوتا لمتجره . وقد فتحت لك الحانوت في الدين
صيرت دينك شاهينا تصيد به . وليس تفلح اصحاب الشواهين

علمت ان اى رجل يجسر على مقاومة التفرقة ونبذ الاختلاف ، او اثاره افكار الخلق بلزوم الائتلاف رجوعا الى اصول الدين الحق ، فذلك الرجل هو في عرفهم الكافر الجاحد المارق المخردق المهرتق (٢) المفرق . الخ . ولما انتهى بى العلم الى ذلك الحد انقلبت افراحي بالخيال اتراحا ، ورجعت عن نظريتي والحيبة ملء اهبابى وجبتى ، ثم جمعت ما تفرق من الفكر ، ولمت شعث التصور ، ونظرت في الشرق وأهله ، فاستوقفتنى الأفغان ، وهى اول ارض مس جسمى ترابها ، ثم الهند ، وفيها تثقف عقلى ، فايران بحكم الجوار والروابط ، واليها كنت صرفت بعض همتى ، فجزيرة العرب ، من حجاز مهبط الوحي ، وشرق انوار الحضارة ومن يمن وتبابعها ، وأقيال حمير فيها ، ونجد ، وعراق ، وبغداد وهارونها ومأمونها ، والشام ودهاة الأمويين فيها ، والاندلس وحمراؤها ، وهكذا كل صقع ودولة من دول الاسلام في الشرق ، وما آل اليه امرهم فيه اليوم .

(١) المرازبان : رئيس الفرس او الفارس الشجاع المقدم على القوم ، وهو دون الملك في الرتبة وجمعه مرازبة (من المعجم الوسيط) .

(٢) تعبير مسيحي تطلقه الكنيسة على كل من خرج على تعاليمها .

فالشرق ! الشرق !

وقد خصصت جهاز دماغى لتشخيص دائه ، وتحرى دوائه فوجدت
أقتل ادوائه وما يعترض فى سبيل توحيد الكلمة فيه داء أنقسام اهليه ،
تشتيت آرائهم ، واختلافهم على الاتحاد ، واتحادهم على الاختلاف فقد
اتفقوا على الا يتفقوا ، ولاتقوم على هؤلاء القوم قائمة • (١)

هذا هو مجمل الفكرة التى حركت السيد « جمال الدين » الى فعل
ما فعل • ويظهر منها ان افكار السيد وصلت الى درجة انه يفكر فوق ظلمة
البشرية ويأمل ان يكون الانسان متصفا بصفات الملكية وانه ضاق صدره
فيما دار بين الناس من المفسد والاختلافات، لاجل هذا هو يحاول أن يفهم
أهل المذاهب والاديان ان الاديان السماوية لا اختلاف بينها فى أصل ارادة
تكميل الرسالة الانسانية • وايضا اقر السيد فى هذه المقالة بأصله ونسبه
وقال : « ان الافغان اول ارض مس جسمى ترابها » ثم اظهر بعد علمه
وسياحته وتجاربه انه متألم لما آلت اليه الدول الاسلامية فى الشرق من
الضعف والتدهور ومتأثر به حتى انه قال فى حق الشرقيين ، قد اتفقوا على
الا يتفقوا •

لكن مع هذا ادى السيد « جمال الدين » فى حياته وظيفته فعمل على
توحيد كلمة المسلمين والشرقيين ونبههم الى الخطر الغربى المحدق بهم •

« العلة الحقيقية لسعادة الانسان »

قال حكيم الاسلام السيد جمال الدين الافغانى : تحت عنوان
« العلة الحقيقية لسعادة الانسان » ما يلى (٢) : ان الممكن بالامكان الخاص
(وهو الذى لا يلزم من وجوده ولا من عدمه محال) يكون وجوده بوجود
علته ، وعدمه بعدمها •

ولا ريب فى أن السعادة من الماهيات الممكنة بالامكان الخاص ، وانها
العلة الغائية لحركة كل فرد من أفراد الانسان ، حسية كانت تلك الحركة،
أو معنوية ، اذ لو لوحظت مساعيه آناء الليل وأطراف النهار ، وأخذ
بوسائل الحرف من زراعة وصناعة وتجارة ، وسعيه فى تحصيل العلوم

(١) من كتاب صيحة جمال الدين الافغانى لمحمود أبو رية (ص ٢٧ - ٣٠) •

(٢) من كتاب صيحة جمال الدين ص (٦٠ الى ٦٨) وأصل المرجع جريدة مصر التى
كانت تطبع فى الاسكندرية وكانت مظهر افكار السيد وتلاميذه •

والفنون ، وارتكابه المصاعب فى نيل المراتب والمناصب ، لما وجد لهـ من باعـث أو داع سوى طلب السعادة ، مع أنك لا تجد من نالها ، أو دنا منها ، وما ذلك الا لعدم تحقق علتها . فعلىنا أن نبحث عن تلك العلة ، وعن الاسباب التى أوجبت عدم تحققها ، حتى يتبين وجه ضلال طلاب السعادة عن أن يصيبوها فنقول :

« ان بين السعادة والصحة شبيها كليا ، فكما أن صحة الجسم هى نتيجة ومعلولة للتناسب الطبيعى بين أعضاء ذلك الجسم وجوارحه ، وكما الاعتدال فيما تكونت عنه تلك الاعضاء ، وحسن قيام كل عضو منها بأداء وظيفته ، مع مراعاة اللوازم والشروط الخارجية من الزمان ، والمكان ، والمطعم ، والمشرب ، والملبس ، فيكون زوالها لزوال هذه الأمور كلها أو بعضها .

كذلك سعادة الانسان هى معلولة للتناسب الحقيقى ، فى الاجتماعات المنزلية ، وقيام كل من اركان المنزل بأداء وظيفته ، وللتعادل التام فى الائتلافات المدنية ، بأن يكون للمدنية من الحرف والصنائع ما يكفيها مئونة الافتقار من دون نقص أو خروج عن حد حاجتها ، مع حسن التعامل بين أرباب الصنائع ، وأن تكون أحكامها تحت قانون عدل يتساوى فيه الصغير والكبير ، والامير والمأمور ، وللارتباط العادل بين الدول ، بأن تقف كل دولة عند حدها ، ولا تتعدى على حقوق غيرها ، وأن تمهد سبيل التواصل بينها وبين باقى الدول ، لكمال التعاون والتآزر ، وانتفاع كل من الآخر ، فيكون الحصول على السعادة بحصول تلك الأمور ، وفقدانها لفقد جميعها أو بعضها .

وهذه الأمور وان كانت ممكنة الحصول ، الا أن هناك مانعا من الوصول اليها ، وهو اعتقاد كل كمال نفسه ، ونقص غيره ، ونظرة الى أفعاله بعين الرضا ، والى أفعال غيره بعين السخط ، وزعمه أنه ما حاد عن حد الاعتدال ، ولا أخل بشئ من واجباته وشئونه ولا تقاعدت همته عن أداء وظائفه فى العالم الانسانى ، ويتمحل لاثبات ذلك بما تسول له نفسه من الحجج والبراهين ، وان أصابه العناء ، ونزل به الشقاء ، حسبهما من تهاون الغير فيما يلزمه ، وإهماله ما يجب عليه ، مبرثا نفسه من أسباب ذلك ، حتى لو أغفل شأننا من شئونه ، يزعم أنه قد سدت دونه أبواب الامكان ، وتعذر عليه القيام به ، ولو انتهك محظورا من المحظورات لادعى أنه لا اختيار له فيه ، وانما الضرورة هى التى ساقته الى ارتكابه ، فهو مجبور لا مختار ، مع أنه لا يلتمس للغير عذرا فيما يفوته ، أو يقع منه ، ولو كان فى نفس الامر مجبورا ، ومن ثم وقع التضارب فى الآراء ،

والتدافع فى الافعال والحركات وعمل كل على نقيض الآخر ، فارتفع
التناسب ، وانعدم التعادل ، وذهب الارتباط .

أنظر الى حال الآباء مع الأبناء ، والسادات مع الخدمة ، كيف أن كلا
منهم مع علمه بأن السعادة المنزلية انما تتحقق بأدائه ما يجب عليه وجعل
حركته من متممات حركات الآخر ، يخالفه فى أفعاله ، ويضاره فى آرائه
معتقدا أنه لو لم يقصر ذلك الآخر فى أداء الحقوق المفروضة عليه لاستقرت
الراحة المنزلية ، وارتفع العناء ، وهكذا حال المشتركين فى المدنية ، فان
كل واحد مع جزمه بأن الراحة والنجاح انما يكونان باحكام الصنعة ،
وتهذيبها ، وحسن التعامل ، وكف يد الشر والخيانة ، وضبط العهود
والمواثيق ، واجتناب الكذب ، والاعتصام بحبل الصدق ، والوفاء ، لا يرى
نفسه مخلا بشئ من ذلك ، وان أخل بجميعه ، ويزعم أن زوال سعادة
المدنية انما جاء من تهاون الآخرين .

ثم بعد ذلك قال السيد جمال الدين الأفغانى : وتصور حال الملوك
مع رعائياها ، ترى كلا منهما يرمى الآخر بالانحراف ، وعدم الاعتدال ،
ويتهمه بانتهاك المحارم والحقوق ، ويبرىء نفسه من نسبة شئ من ذلك
إليها . فالملوك يعتقدون أن لا قوام للرعية بدون وجودهم ، وأن لاغنى لها
عنهم ، اذ هم يحفظون أموالها ، ويحقنون دماءها ، ويوفون لكل ذى حق
حقه ، وينتقمون للمظلوم من الظالم ، ويحرسون الثغور لدفع ضرر
المهاجمين ، فيرون بذلك أن لهم حق التصرف فى أموال الرعية ، ودمائها ،
وأنه يجب عليهم طاعتهم ، والخضوع لسيطرتهم وسلطانهم ، وامتنثال
أوامرهم ، واجتناب نواهيهم ، ويرمون الرعية بالتقصير فيما يجب عليها .
والرعايا يخاطبونهم قائلين : لا مزية لكم علينا كما زعمتم ، ولستم أطهر
عنصرا ، ولا أطيب طينة ، بل نراكم أناسا استولى عليكم حب الذات ،
وأسرتكم الشهوة ، واستعبدكم الهوى ، فاستمالكم الى سلب راحتكم ،
وراحة رعائياكم ، حرصا على التغلب ، وطمعا فى توسيع دائرة السلطة ؛
وكسب الافتخار منا .

وأما اعتقادكم أن لا قوام لنا الا بكم ، فأنى لكم صدق هذا الاعتقاد ؟
وقد أصبحتم كلا على كواهلنا ، نحن نغرس ، ونحرث ، ونغزل ، ونحيك
ونفصل ، ونخيط ، ونبنى ونشيد ، ونخترع الصنائع ونتفنن فى المعارف
وأنتم تأكلون وتشربون ، وتلبسون ، وتسكنون ، وتتمتعون بلذة الراحة ،
وأما ما تعللتم به من حفظ أموالنا ، وحقن دماننا ، الى آخر ما ادعيتم ،
فذلك انما نشأ عن العظمة والكبرياء ، اللذين أصولهما فى نفوسكم ،

أفلا تعلمون أن الحارس والمرابط إنما هو منسأ ؟ وأن الحافظ والحاقد
والمنتقم إنما هو القانون والشرعة الحقة ، وما أنتم إلا منوطون بحفظها ،
والعمل فى الناس بها ، فان قمتم بذلك على وجه الاستقامة كان لكم علينا
ما يقيم أودكم ، فكيف ساغ لكم أن تلعبوا بأموالنا ، وتعبثوا بدمائنا ،
وتلقوا بنا فى هاوية الشقاوة ، تم تبتغوا طاعتنا وامثالنا ، وترموننا
بالتقصير ، والتهاون فيما وجب علينا .

ذلك الذى ذكرناه فيما اذا لم يكن الملوك من المتغلبين ، وأما المتغلبون
من الملوك والمتغلب عليهم ، فكل منهما يزعم فوق ما ذكر أنه الوسيلة
لمتعة الآخر ، والواسطة لمصلحته ، وأن الآخر قابل حسنته بالسيئة ،
ومنفعته بالمضرة .

ثم قال السيد : ودقق النظر فى شئون العقلاء ، والحكماء ، وذوى
الآراء ، والمذاهب ، الذين يعتقدون أن الحق واحد فى نفس الأمر ، والواقع
لا يتعدد ، كيف أنهم بعد اتفاقهم على أن القواعد المنطقية هى ميزان النظر
وبها يعرف صحيح الفكر من فاسده ، قد انتهج كل واحد منهم منهجا ،
واتخذ مشربا يناقض الآخر ، ويعتقد أن دلائله المؤدية إليه هى المنطقية
على ذلك الميزان ، وأن لا انطباق لدلائل غيره عليه .

وبعد هذا قال السيد : وارجع البصر الى أحوال السسارقين ،
والقاتلين ، ونحوهم ، من مرتكبى الفواحش والشناعات فى العالم
الانسانى ، ترى أنه لا يصدر عمل من هذه الأعمال المجمع على قبحها من
فاعلها ، الا بسبب هذه الحلة الذاتية .

أعنى اعتقاده كمال نفسه ، والنظر الى أعماله بعين الرضا ، ضرورة
أن الفعل إنما يكون بعد الارادة التى لا تكون الا بعد ترجيح الفعل على
الترك ، ورؤيته خيرا منه وهو عين الرضا به .

قال السيد : ومن غرائب آثار هذه الحلة ابرازها لحقيقة واحدة ،
بصور مختلفة فى نظر شخص واحد على اختلاف مراتبه وشئونه ، فانك
ترى زيدا من الناس مثلا وهو فى رتبة رؤوفا بالفقراء ، رحيفا بالضعفاء
شفيفا على المظلومين ذاما للبخل والشح ، مادحا للكرم والسخاء ، مهتما
بقضاء حوائج ذوى الحاجات ، مدعيا للعفة ، كارها للانكباب على الشهوة
مستهزئا بذوى التكائر والتفاخر ، مبغضا للكبرياء ، متنفرا عن الارتشاء
مشمئزا من الاهمال فى المصالح العامة ، والتهاون فى الواجبات ، مستهينا
بالمستبدين بأرائهم ، المعجبين بأقوالهم وأفعالهم ، مستقبحا لاعطاء المراتب
لغير أهلها ، وحرمان مستحقها منها ، لائما على الغضب واسراع العقوبة
مستفحشا للسفاهة والبذاء ، محبا للوطن ، محاميا على الحرية ، زاعما

أنه لو آل الأمر اليه لقام بإصلاح العالم ، وإذا ارتقى الى رتبة سامية ، تجده قسى القلب على الفقراء ، زاعما ان التكلف صناعة اتخذها أرباب السفالة والبطالة هربا من عناء الكسب ، جافى الطبع على المظلومين ، مستدلا بأنه المظلومين أو لو مكر ودهاء ، يعلنون خلاف ما يسرون ، ويستترون تحت حجاب المسكنة والالتجاء ، للتغلب على حقوق غيرهم ، بخيلا شحيحا ، متمسكا فى ذلك بأن من مقتضيات الحزم أن تحرز الأموال ، وتودع المخازن لوقت اللزوم . . . قال السيد : ومن أغرب آثارها أن المتخلق بها مع كونه متصنعا بأرذل الأخلاق ، وأشنع الخصال ، يعمى عن أنه متصف بها ، مثلا يكون قسى القلب ، ويعتقد نفسه رحيما ، ومتكبرا ، ويرى نفسه متواضعا ، وهكذا باقى الخصال ، مع أنه لو تلبس غيره بأدنى رذيلة لأدركها وشهر عليه النكير فيها .

ثم بعد البسط قال السيد : ومن نظر بعين الحق ، وسبر الحقائق بنور البصيرة ، لا يجد لهذه الخلعة أعنى (اعتقاد كل كمال نفسه ونظره الى أعماله بعين الرضا) علة وسببا ، سوى حب الذات ، الذى هو غشاوة على عين العقل ، تمنعه من استطلاع الحقائق على ماهى عليه ، ووقوفه عند حد الصواب فى سير الأفكار .

وفى الآخر قال السيد : وهذا الوصف - أعنى حب الذات - الذى هو علة الشقاء والعناء من الأوصاف اللازمة لذات الانسان مادام موجودا ، فلا ينفك الانسان عنه ، ولا هو يذايله ، فاذن لا حيلة ولا خلاص من بلاياه ونكباته ، الا باستعمال الانسان عقله ، ورجوعه اليه فى كل أموره ، والخروج من ربقة عبودية سلطان حب الذات ، ورفض أحكامه ، وذلك أن يحكم على نفسه بما يراها عليه فى مرآة غيره ، لا فى مرآة نفسه ، وهذا الذى ذكرناه هو العلاج الحقيقى ، والوسيلة العظمى لوقوفه كل عند حده ، وسعى كل لاستكمال نفسه . وزاد السيد : لسنا ندم حب الذات بجميع أنواعه ، فان منه ما قد يعود بسعادة ، على طائفة من الطوائف أو أمة من الأمم ، هو حب الذات الداعى الى طلب المحمدة الحققة وهو الذى يرتقى بصاحبه الى توجيه أفكاره ، وأعماله ، نحو المصالح العمومية ، بدون أن يطلب من ذلك شيئا سوى الحمد وخلود الذكر ، والسلام على من اتبع الهدى ، ورجح العقل على الهوى » .

يثبت مما ذكرنا من مقالة السيد : فى « العلة الحقيقية لسعادة الانسان » أن السيد نظر الى الأمراض الاجتماعية بنظر رقيق ، وكشف العلة الأصلية للاختلافات الدائرة بين الناس ، وهى حب الذات المفرط ، ثم نظر الى المعالجة ، والخلاص من هذه العلة ، التى تودى بالانسان الى

الخسران والهلاك ، واكتشف السيد أنه لا خلاص من بلايا حب الذات إلا باستعمال الانسان عقله ، وبرجوعه اليه في كل أموره .

وأراد السيد بهذا الطريق أن يوجه الانسان الى سعادته ، ويلفته الى موبقاته .

لا شك أنه يثبت من هذه المقالة أن فلسفة السيد متكئة على البحث عن علل الأشياء ، والوصول الى العقل المجرد ، بحيث يكون كفيلا لسعادة الانسان وفلاحه .

« نفرة السيد جمال الدين

من قول السنن والشيعة »

قال جمال الدين : ظهرت لآل البيت النبوى فى أوقات وأزمنة مختلفة أحزاب وشيع ، منهم من ضل (كالمؤلهة) الذين يقولون بالوهمية على بن أبى طالب ، ومنهم (المفضلة) و (الغلاة) فى محبة أهل البيت ، وقد دخل الاثنان تحت حكم من قال (يهلك فينا أهل البيت : اثنان مخب غال ، وعدو قال) . أما المفضلة من الشيعة ، وهم الذين يقلدون فى المذهب الامام جعفر الصادق ، وهو من أكابر فقهاء أهل البيت ، فهذا الجمهور من المسلمين لمجرد تقليدهم للامام جعفر ومغالاتهم فى حب آل وتفضيلهم للامام على ، لا يجب أن نخرجهم من عداد المسلمين ، ونجسم أمر هذا الفروق فى الفروع ، وجعلها واسطة وسبيلا للتفرقة والنزاع والخصام والقتال . تلك الأمور انما سهل وجودها جهلة الأمة وسفه الملوك الطامعين فى توسيع ممالكهم ، فالملوك من الشيعيين هولوا وأعظموا أمر الشيعة لاستهواء العوام بأوهام غريبة عجيبة على شيعة أهل البيت ، ليتسنى لهم بذلك تخريب الأحزاب ، وتجييش الجيوش ؛ ليقتل المسلمون بعضهم بعضا ، (بحجة الشيعية والسنية) ، وجميعهم يؤمنون بالقرآن ، ورسالة محمد عليه السلام .

أما مسألة تفضيل الامام على والانتصار له فى قتال معاوية عندما خرج عليه ، فلو سلمنا أنه كان فى ذلك الزمن مفيدا ، أو ينتظر من ورائه نفع لاحقاق حق أو ازهاق باطل ، فاليوم نرى أن بقاء هذه النعرة والتمسك بهذه القضية التى مضى أمرها وانقضت مع أمة قد خلت ليس فيها الا محض الضرر ، وتفكيك عرى الوحدة الاسلامية .

لو أجمع أهل السنة اليوم ووافقوا المفضلة من الشيعة (من عرب وعجم) ، وأقروا وسلموا بأن عليا بن أبي طالب كان أولى بالخلافة قبل أبي بكر ، فهل ترتقى بذلك العجم ؟ أو تتحسن حال الشيعة ؟ أو لو وافقت الشيعة أهل السنة على أن أبا بكر تولى الخلافة قبل الامام علي بحق ، فهل ينهض ذلك بالمسلمين السنيين ، وينشلهم مما وقعوا فيه اليوم من الذل والهوان ، وعدم حفظ الكيان .

أما آن للمسلمين أن ينتبهوا من هذه الغفلة ؟ ومن هذا الموت قبل الموت ؟ يا قوم - وعزة الحق - إن أمير المؤمنين عليا بن أبي طالب لا يرضى عن العجم ، ولا عن جميع أهل الشيعة ، إذا هم قاتلوا أهل السنة ، وافترقوا عنهم لمجرد تفضيله على أبي بكر . وكذلك أبو بكر لا يرضيه أن يدافع أهل السنة عنه ، وأن تقاتل الشيعة لأجل تلك الفضيلة التي مر زمنها ، والتي تخالف روح القرآن الكريم ، الأمر بأن يكونوا كالبنيان المرصوص .

أما قضية التفضيل فلو استحضرت البحث بعد تلك الأجيال لكفى أن يقال حل اشكالها . (ان أقصر الخلفاء الراشدين عمرا تولى الخلافة قبل أطولهم عمرا) . فلو تولى الخلافة بعد النبي عليه السلام على بن أبي طالب ، لما مات أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، ولم يتيسر لهم خدمة الاسلام والمسلمين ، بما استطاعوا أن يخدموه به رضوان الله عليهم أجمعين . (١)

يظهر من هذا أن السيد تعمق في مسألة (السنية والشيعة) ، ووصل الى حد أنه أيقن أن تلك الاختلافات بين المسلمين من مؤامرات أعداء الاسلام ، ودسائس المستعمرين ، ويثبت من مقاله هذا أن ما كتبه مرزا لطف الله خان الايراني :

بأن السيد كان شيعيا ، هو في الحقيقة افتراء من افتراءات أيادي الاستعمار وأعداء الاسلام بشأن السيد ويريدون بذلك الخط من درجته ، اذ هم يجادلون المصلحين في حياتهم ، ويهدمون خططهم بعد مماتهم .
كما أنهم يريدون أن يستفيدوا من اختلافات السني والشيعة في عصرنا الحاضر أيضا .

أعوذ بالله من صنيعهم ، وعدم حيائهم .

(١) من كتاب صيحة جمال الدين الافغانى للاستاذ محمود أبو رية ص ٢١٥ - ٢١٧

رأى السيد جمال الدين فى الاجتهاد

عرف جمال الدين بنفوره من التقليد والجمود ، فكان يأخذ الأحسن والأيسر من الأقوال ، ويجتهد للأولى ، ويرد الضعيف منها ، ويتناول الأقرب للصواب ، وما يقبله العقل الصريح ، ويتفق مع النقل الصحيح .

ذكروا له قولاً للقاضى عياض ، واتخذوه حجة ، واشتد تمسكهم به ، فقال جمال الدين الأفغانى :

ياسبحان الله ! أن القاضى عياض قال ما قال على قدر ماوسعه عقله ، وتناوله فهمه ، وناسب زمانه ، فهل لا يحق لغيره أن يقول ما هو أقرب للحق ، وأوجه وأصح من قول القاضى عياض أو غيره من الأئمة ؟ وهل يجب الجمود والوقوف عند أقوال الناس ؟

انهم أنفسهم لم يقفوا عند حد أقوال من تقدمهم ، لقد أطلقوا لعقولهم سراحها ، فاستنبطوا وقالوا ، وأدلو دلوهم فى الدلاء فى ذلك البحر المحيط من العلم ، وأتوا بما ناسب زمانهم ، وتقارب مع عقول جيلهم ، والأحكام تتبدل بتبدل الزمان . ولما قيل له أن ذلك يعد اجتهاداً ، وباب الاجتهاد عند أهل السنة مسدود ؛ لتعذر شروطه ، تنفس الصعداء وقال : مامعنى باب الاجتهاد مسدود ؟ وبأى نص سد باب الاجتهاد ؟ وأى امام قال : « لا ينبغى لأحد من المسلمين بعدى أن يجتهد ليتفقه فى الدين ، أو أن يهتدى بهدى القرآن ، وصحيح الحديث ؟ » أو أن يجد ويجتهد لتوسيع مفهومه منهما ، والاستنتاج بالقياس على ماينطبق على العلوم العصرية ، وحاجيات الزمان وأحكامه ؟ ولا ينافى جوهر النص ؟ أن الله بعث محمداً رسولاً بلسان قومه (العربى) ، ليفهمهم مايريد افهامهم ، ليفهموا منه مايقوله لهم ، « وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه » وقال : « انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلمكم تعقلون » وفى مكان آخر : « انا جعلناه قرآنا عربيا لعلمكم تعقلون » .

فالقُرآن الكريم ما أنزل الا ليفهم ، ولكي يعمل الانسان بعقله ،
لتدبر معانيه وفهم أحكامه ، والمراد منها •

فمن كان عالما باللسان العربى ، وعاقلا غير مجنون ، وعارفا
بسيرة السلف ، وما كان من طرق الاجماع ، وما كان من الأحكام مطبقا
على النص مباشرة ، أو على وجه القياس الصحيح الحديث ، جاز له النظر
فى أحكام القرآن ، وتمعنها ، والتدقيق فيها ، واستنباط الأحكام منها ،
ومن صحيح الحديث والقياس • ولا أرتاب فى أنه لو فسح فى أجل أبى
حنيفة ومالك والشافعى وابن حنبل ، وعاشوا الى اليوم لداموا مجدين
مجتهدين ، يستنبطون لكل قضية حكما من القرآن والحديث ، وكلما
زاد تعمقهم وتمعنهم ازدادوا فهما وتدقيقا •

نعم ان أولئك الفحول من الائمة ، ورجال الامة ، اجتهدوا وأحسنوا ،
جزاهم الله عن الامة خيرا ، ولكن لا يصح أن نعتقد أنهم أحاطوا بكل
أسرار القرآن ، أو تمكنوا من تدوينها فى كتبهم ، والحقيقة أنهم مع ما
وصلنا من علمهم الباهر ، وتحقيقهم واجتهادهم ، ان هو بالنسبة الى
باحوا القرآن من العلوم والحديث الصحيح من السنن والتوضيح الا
كقطرة من بحر أو ثانية من دهر ، (وأن الفضل بيد الله يؤتیه من يشاء
من عباده) ، وعلمهم مالم يكونوا يعلمون •

وقال السيد :

التحليل والتحريم لا يكون الا بأمر الله ، والتدقيق فى القول
بالسنة •• كان علماء السلف والائمة منهم لا يجرءون على القول بسنة
من سنن الرسول الا بعد التدقيق والنظر فى الاجماع وتحرى الثقة من
الرواة ••• الخ ، أما الجهلاء من المشايخ المتعممين اليوم فتراهم يتهممون
على التحريم للحلال ، والتحليل للحرام ، بغير نص ، وقد جهلوا أن
مقام التحريم مآجاز لصاحب الشرع الرسول الأعظم صلى الله عليه
وسلم لقوله تعالى :

« يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك ••• الخ » •

وقد رأيت شيخا أخذنا بتلايب رجل (أفندى) قرب جامع
السليمانية فى الاستانة ، وهو يهزه ويقول له :

ان لبسك هذا القميص حرام وكفر لانه صنع الأفرنج • قال جمال
الدين فما وسعنى الا أن تقدمت الى ذلك الشيخ الجاهل وقلت له :

ياشيخ ان عمامتك وجبتك وعمامتي وجبتي هي من صنع الأفرنج ،
فلماذا لا تخلع عمامتك وترمي بجبتك أولا ، ثم تعمد الى قميص الرجل
فتسلحه اياه ؟! ٠٠ وكم من أمثال هذا الشيخ الجاهل في هذه الامة في
هذه الأيام فلا حول ولا قوة الا بالله . (١)

يظهر ويثبت من مقالة السيد في باب الاجتهاد ان السيد له
سعة الفكر ، يريد أن يحرر أفكار المسلمين من قيود الأوهام ، والخرافات ،
ويهيئهم للمكافحة في ميادين الحياة الفكرية والعملية ، هو يريد ان
يتحرك الشرق والمسلمون من نومهم ، وخمودهم وجمودهم ، الذي ألقى
في أعناقهم وأيديهم السلاسل والأغلال ، لكي يبدؤوا في الاختراعات
والانكشافات العلمية والعملية ، ويصلوا الى مقامهم الشامخ ، الذي حققه
علماء الاسلام في الصدر الأول .

« جوامع الكلم الماثورة عن

السيد جمال الدين الأفغانى »

- من سفه الراى أن يعتقد الرجل افضليته على الغير بالعمر
والشيب . الأقدمية لا تجدى الأفضلية غالبا .
- الفخر بالقول المجرد يبطله المجد بالفعل .
- احقر الناس من يطلب موت الناس ليحيا ، وأعظهم من يستميت
- الدل وصحيح العلم ضدان لا يجتمعان .
- ليحيا ولو واحدا من الناس .
- الفقر (٢) عدو الفضيلة ، والثراء نصير الرذيلة .
- لا خير في حق لا تدعمه قوة .
- تطويل المقدمات دليل على سقم النتائج .
- من رهب الملوك بغير جريرة فهو صعلوك .
- لا تطيب نفس الانسان بالتواضع الا اذا علم بعض العلم .

(١) من كتاب صيحة جمال الدين الافغانى للاستاذ محمود أبو رية ص ٢١٢ - ٢١٥ .

(٢) المراد بالفقر الفقر النفسى .

- الافراط فى التواضع دليل على الادعاء •
- من فتح له الباب ولم يدخل أولى بالطرد •
- قلما يأتى الحق من غير عناء •
- ما مات أحد فى حب أمته الا وأحيتة •
- من أحب الحياة فليمت فى سبيل حياة أمته •
- لا أمة بدون أخلاق ولا أخلاق بغير عقيدة ولا عقيدة بغير فهم •
- خير موازين الأمم أخلاقها ، خير الأخلاق انكار الذات ، أعظم دلائل الانكار على الذات الأعمال •
- ألف قول لا يساوى فى الميزان عملا واحدا •
- خير ما يحتاجه الشرق من الملوك القوى العادل • لا خير فى العادل الضعيف ، كما أنه لا خير فى القوى الظالم •
- الاستقلال أمل يتبعه عمل •
- اذا خلا الميدان من العقلاء تسابقت الجهلاء •
- العالم الفقير غنى بعلمه ، والغنى الجاهل فقير بجهله •
- الحرية تؤخذ ولا تعطى •
- الاستقلال لا ينال بالأقوال •
- طالب الموت فى سبيل الوطن اما أن يموت بطلا شهيدا ، واما أن يعيش سيذا عزيزا •
- من اعتقد أن لا حياة الا هذه الفانية فقد خسر الأولى والثانية •
- من ثابر وكابر على تجربة الضار أولى أن يتخذ عبرة •
- الأزمة تلد الهمة •
- انهزام العاقل أمام الجهلاء أولى من الظفر بهم •
- الصالح من يعبد الله لا خوفا من جحيمه ولا طمعا فى جنته بل لكونه الها يستحق العبادة والتقديس •
- جمود بعض المتعممين أضر بالاسلام والمسلمين •

- أمة ثبتت في جهادها لأخذ الحق ساعة خير لها من الحياة في الدل
الى قيام الساعة •
- اذا لم تتدفع الامة بشكواها من ظالمها بغير الكلام فاحكم عليها
بانها أضل من الأنعام •
- أمة تطعن حاكمها سرا وتعبدته جهرا لا تستحق الحياة •
- الايمان واليقين ليس معناه عباداة رؤساء الدين •
- شر الأزمنة أن يتبجح الجاهل ويسكت العاقل •
- مهابة تصدر عن كرسى الحاكم لا عن عدله وفضله أقرب الى
السخرية منها للاحترام •
- تحتجب الحقائق عن الملوك بقدر تحجبهم •
- من خبثت نفسه لان ملمسه وكثر ختله وخداعه •
- الشباب جسر من جنون لا غنى للعقلاء من المرور عليه •
- الأحزاب السياسية نعم الدواء ولكنها في الشرق تنقلب غالبا
الى شر الداء •
- نهض الغرب بالعلم والعمل وانحط الشرق بالجهل والكسل •
- ثمرة العقول لا تجتنى الا باطلاقها من قيود الأوهام •
- قيد الاغلال أهون من قيد العقول بالأوهام •
- من قال ان الدين يأمر بالعسر دون اليسر وبالضار دون النافع
لمجرد التقليد والمبالوف فهو كذاب •
- المعوج الظاهر من الناس اقل ضررا من المتلبس بالاستقامة •
- من ظن انه خدع الناس بالباطل يكون اول مخدوع •
- حاجة الملك الى الأمة اشد من حاجة الأمة الى الملك •
- للعلم قشور ولباب فالواقف على القشور يغرق في بحر الغرور •
- المبتدئ في أوليات العلوم يظن أنه تبحر فيها وانتهى ، أما الراسخ
المحقق فيعتقد أنه ما زال في الابتداء •

- محدث النعمة بالمال يستعرضه في كل مكان ، ومحدث النعمة
بالعلم يلقيه على كل انسان •

- لو يحاسب الانسان نفسه كما يحاسب غيره لقل خطؤه وقرب من
الكمال •

- العقل أشرف مخلوق ، فهو عالم الصنع والابداع ولا يعطل له الا
الوهم ، لا يقعه عن عمله الا الجبن وهو الذي يخيل المفقود موجودا ،
والقريب بعيدا •

- كل عناصر الوجود في هذا العالم الفاني خاضعة للعقل المطلق
الانساني ، فكل مستحيل اليوم في الطب والصناعة سوف يكون
غدا ممكنا •

- الفصل في نزاع نساء البيت ينقص الحياة •

- أعقل الآباء من لا يساكن اولاده بعد الزواج ، ويستعوض بالتزاور
عن التجاور •

- قل من رايت من الرجال من يعرف الهناء بغير النساء وندر منهم
من لا ينسب الشقاء اليهن •

- القوى من الشجر لا يعجل بالثمر •

- يعوج الشرقي باعوجاج حاكمه ، ويستقيم اذا هو استقام •

- لا ينطبق على الشرقيين قول « مثلما تكونوا يول عليكم » بل حق
عليهم قول « مثلما يول عليكم تكونوا » • (١)

هذه هي الافكار الخالدة من جوامع الكلم الماثورة عن السيد جمال
الدين الافغاني ، تظهر منها درجة علم سيدنا وفضله ، وفلسفته ، وتجربته ،
ونبوغه ، وعبقريته ، لمن يتعمقها •

ولو وقفنا عند كل كلمة منها ، مع الدقة ، والتحليل ، لوجدنا أن

(١) من كتاب زعماء الاصلاح في العصر الحديث تأليف أحمد أمين ص ١١٩ - ١٢٠
ومن كتاب جمال الدين الافغاني حياته وفلسفته تأليف دكتور محمود قاسم
ص ٩١ - ١٠٢ •

السيد مجدد عصره ، جاء لانقاذ الشرق والمسلمين ، من نير الاستعمار والاستغلال ، هو يبذر بذور الحياة فى الأفكار الحامدة ، ويشق الطريق الى الصلاح ، والفلاح ، ويثبت منها أيضا أن السيد جمال الدين الافغانى فيلسوف ، ومرشد ، بمعنى أنه يعرف الحقائق ، ويزكى الانفس من الدنس لكى يصل بالناس الى المثل الأعلى ، وذلك ليحيوا حياة طيبة ، بحيث لا خلاف ولا شقاق بينهم فى الوصول الى الحق والخير والسعادة .

« هل يصح القول :
بأن السيد جمال الدين الافغانى
فيلسوفاً ؟ »

قال العلماء : للمعارف ثلاث مراتب : مرتبة العلم ، ومرتبة الفن ،
ومرتبة الفلسفة ، يعنى هم يقولون : استقراء الكليات من الجزئيات ،
وتعليل الجزئيات من الكليات ، ووضع القوانين والاصول ، يسمى بمرتبة
العلم ، وتطبيق العلم على العمل ، يسمى بمرتبة الفن ، واستقصاء العلل
الى المبادئ الميتافيزيقية ، والمقارنة بين المادة والمعنى والجسد ، والروح ،
تسمى بمرتبة الفلسفة . . مثلاً فى الاخلاق تدوين الفضائل وترتيبها
الى نظرى وعملى ومقارنتها بالغرائز ، وتعيين حد الوسط الملائم ، ووضع
قائمة الفضائل والرذائل ، وتعيين حدود ورسوم للفضائل والرذائل ،
وغيرهما من المسائل الاخلاقية ، يسمى علم الاخلاق . وتطبيق تلك المسائل
بحسن المعاملة ، ورعاية الادب ، والنظافة ، والصدق ، والامانة ، يعد من
وظيفة فن الاخلاق ، وربط السلوك بالمبادئ السامية ، والمثل العليا
والسماوية على ضوء وحى ، أو انبعاث من الضمير ، أو الهام من الله
تعالى ، والارتباط بين النظامين الطبيعى والادبى ، واتباع غاية من الزلفى
عند الله ، والتخلق بأوصافه ، فهذه المفاهيم وأمثالها هى من صميم
فلسفة الاخلاق . كذلك فى كل مفهوم ومسألة ، توجد مرتبة العلم ،
ومرتبة الفن ، ومرتبة الفلسفة . فعلى هذا الاساس من درس حياة السيد
جمال الدين الافغانى وآراءه وتحليلاته وخططه وكلماته وخطاباته فى
أفغانستان والهند ، ومصر ، وتركيا ، وفرنسا ، وإيران ، وروسيا ،
والبصرة ، ولندن ، وسائر البلاد التى أقام بها ، يتبين له أنه كان
فيلسوفاً ، وله نشاط فلسفى فى الوصول الى الحق والجمال ، وفى
المكافحة للخير والسعادة، ويثبت له أن السيد وصل فى كثير من المسائل
والمفاهيم الى مرتبة العلم ، ومرتبة الفلسفة ، ومرتبة الفن ، وأنه أعطى من
قوة الفكر والذكاء ، وقوة القلب والايمان جانباً كبيراً ويؤيد ما قلنا ،
ما دار من المباحثات بين السيد جمال الدين الافغانى ، والفيلسوف الشهير
« رينان » حول الاسلام والعرب ، والذي نشر فى جريدة « الديبا »
الفرنسية الشهيرة ، وقد نشر فيها ما قاله الفيلسوف الشهير « رينان » :
« تعرفت بالشيخ جمال الدين ، من نحو شهرين ، فوق فى نفسى

منه مالم يقع لي الا من القليلين ، وأثر في تأثيرا قويا ، وقد جرى بيننا حديث عقدت من أجله النية على أن تكون « علاقة العلم بالاسلام » هي موضوع محاضراتي في السربون .

والشيخ جمال الدين خير دليل يمكن أن نسوقه على النظرية العظيمة التي طالما أعلنها ، وهي أن قيمة الاديان بقيمة من يعتنقها من الاجتناس ، وقد خيل الى من حرية فكره ، ونبالة شيمه ، وصراحته - وأنا أتحدث اليه - اني أرى أحد معارفى من القدماء وجهها لوجه ، وأنى أشهد ابن سينا ، أو ابن رشد ، أو واحدا من العظماء الذين ظلوا عدة قرون يعملون على تحرير الانسان من الاسر .

لا شك أن السيد له آراء فلسفية خاصة ، وأن ذهنه وذكاه يصل الى المسائل الفلسفية العويصة أكثر من بعض الفلاسفة المشهورين حتى أن الاستاذ رشيد رضا قال في وصف آراء السيد مايلي : « لا يغنى عنها لقاء المئين والألوف من المشيخة ولا مطالعة أسفار المتقدمين والمتأخرين في الفنون » .

ومما يلزم أن أقول ان كثرة اشتغال السيد فيما هو الأهم أى الإصلاحات الاجتماعية وتبيين حقيقة الاسلام لم تعط له الفرصة بأن يشتغل فى الفلسفة ، وتدوين الكتب ، مثلما اشتغل الفلاسفة الفنيون والمؤلفون الكبار فى مسائل ميتافيزيقية ، وجميع العلوم والفنون ، لكن مع هذا ان ما صدر عنه فى الفلسفة الاجتماعية والروحية له قيمة وشان ، يثبت منهما أنه فيلسوف كبير ومصلح عظيم وان له نبوغا فائقا وعبقرية جبارة .

« التراجم والتعليقات

التي يظهر منها نبوغ السيد جمال الدين الأفغانى
وعبقريته وأنه فيلسوف ومجاهد كبير فى الشرق »

كتب كثير من العلماء والفضلاء والأدباء والحكماء والمصلحين فى أفغانستان ، والهند ، ومصر ، وتركيا ، وفرنسا ، وايران ، وروسيا ، والبصرة ، ولندن ، وسائر البلاد ، التي أقام بها السيد ، أو ذاع فيها صيت نبوغه ، وعبقريته ، أنه فيلسوف ، ومجاهد كبير فى الشرق ، لكن لما كان ايراد تمام ماكتبوا من التراجم والتعليقات يطيل الكلام ، فلذلك أقتصر هنا على أهم ما ورد من التراجم والتعليقات فيما يأتى :

١ - روى عن الاستاذ محمد عبده ، فى السيد جمال الدين الأفغانى مانصه :

« أنا واحد من تلامذته ، فانى لو قلت ما آتاه الله من قوة الذهن ، وسعة العقل ، ونفوذ البصيرة ، هو أقصى ما قدر لغير الانبياء لكنت غير مبالغ » وأيضا قال الاستاذ الامام :

« كان السيد مع مشربه الفلسفى ، وميله القليل الى المتصوفة ، متمسكا بالمذهب الحنفى ، مع اهتمام شديد بأداء فرائض المذهب » ثم قال :

« هو أشد من رأيت فى المحافظة على أصول مذهبه وفروعه » (١) .

وأيضا ذكر الشيخ الاستاذ الامام محمد عبده عن السيد جمال الدين : « أنه باعث النهضة الوطنية فى مصر ، وأن هجرته الى مصر واقامته فيها من سنة ١٨٧١ م كانت بعثا وطنيا سياسيا لها ، وحدا فاصلا بين ماض مظلم ، وحاضر مضى ، ومستقبل مبشر بالكرامة والحرية » . (٢)

وأيضا قال الامام محمد عبده تحت عنوان (لقاء بالسيد جمال الدين) ما يلى :

« وقد صاحبته من ابتداء شهر المحرم سنة ١٢٨٧ هـ ، وأخذت أتلقى عنه بعض العلوم الرياضية ، والحكمية : (الفلسفة) ، والكلامية ، وأدعو الناس الى التلقى عنه كذلك .

وأخذ مشايخ الألهى والجمهور من طلبته يتقولون عليه وعلىنا الاقاويل ، ويزعمون أن تلقى تلك العلوم قد يفضى الى زعزعة العقائد الصحيحة ، وقد يهوى بالنفس فى ضلالات تحرمها خيرى الدنيا والآخرة ، فكنت اذا رجعت الى بلدى عرضت ذلك على الشيخ درويش ، فكان يقول لى :

« ان الله هو العليم الحكيم ، ولا علم يفوق علمه وحكمته ، وأن أعدى أعداء العليم هو الجاهل ، وأعدى أعداء الحكيم هو السفيف ، وما تقرب أحد الى الله بأفضل من العلم والحكمة ، فلا شيء من العلم بممقوت عند

(١) من كتاب سعى بجمال الدين ترجمه من الفارسية الى العربية الاستاذان صادق تشات وعبد النعيم حسنين ص ١٣٤ .

(٢) كتاب مذكرات الامام محمد عبده طبع دار الهلال ص ١٠ .

الله ، ولا شيء من الجهل بمحمود لديه ، الا ما يسميه بعض الناس علما ،
وليس من الحقيقة بعلم ، كالسحر ، والشعوذة ، ونحوهما ، اذا قصد
من تحصيلهما الاضرار بالناس » (١) .

وكتب محمد عبده يقول :

« جاء الى هذه الديار في سنة ١٢٨٨ هـ رجل بصير في الدين ،
عارف بأحوال الأمم ، واسع الاطلاع ، جم المعارف ، جرى القلب
واللسان ، وهو المعروف بالسيد جمال الدين الافغانى » .

٢ - كتب السيد محمد رشيد رضا عن السيد جمال الدين الافغانى
في كتابه : (تاريخ الشيخ محمد عبده) تحت عنوان (حكيم الشرق
والاسلام) مايلي :

« كان ذلك الروح العلوى النبوى الذى تمثل للافغان فى ناسوت
بشرى ، جلس فى دروس العلم فحذق العلوم والفنون القديمة ، نقلها ،
وعقلها ، فى بضع سنين ، وألم بالهند لتلقى مبادئ العلوم الأوروبية ،
فوقف على ما شاء منها فى زهاء سنتين » (٢) .

ثم ذكر السيد محمد رشيد رضا من أحوال السيد جمال الدين
حججه فى سنة ١٢٧٣ هـ وزيارته للبلاد الاسلامية ورجوعه الى أفغانستان،
وما حدث له فى أفغانستان ، وخروجه من أفغانستان ومروره بالهند ،
ونفخه روح الاستقلال فى شعب الهند . وفى (ص ٧ ز) من الكتاب
المذكور كتب محمد رشيد رضا يقول عن السيد جمال الدين :

« كان يغذى ذلك الروح بالكتابة وتلقين الافكار لمن يلقى من
رجالها ، فى مصر ، وأوروبا ، وسائر البلاد ، وبمقالات له فى الجرائد
نشرناها فى المنار ، وناهيك « بالعروة الوثقى » التى كادت تضرع نيران
الثورة فيها ، وكان موقنا باستقلالها من بعده حتى أنه قال للشيخ
عبد الرشيد التتارى :

يا ولد انك ستصلى صلاة الجنائز على القيصرية الروسية ، وستحضر

(١) فى ص (٣٤) من كتاب مذكرات الامام محمد عبده .

(٢) كتاب تاريخ الشيخ محمد عبده لرشيد رضا ص - و

تشجيع جنازة الامبراطورية الانجليزية في الهند • وقد تمت البشارة الاولى وظهرت بوادر الثانية (١) في هذه الاعوام •

كتب محمد رشيد رضا في ص ١ - من كتابه يقول :

« ان مصر لن تنسى ذكر الحكيمين المجددين ، والامامين المصلحين ، السيد جمال الدين الأفغاني ، والشيخ محمد عبده المصري ، فطلاب الإصلاح الديني ، والإصلاح المدني ، والإصلاح السياسي ، لا يفتنون يشيدون باسميهما على أعواد المنابر ، وفي أعمدة المجلات والجرائد ، ولا يزالون يجعلونهما مضرب الأمثال ، ويتناقلون ما يؤثر عنهما من حكم الأقوال ، وجلال الأعمال ، بل ذكرهما الحميد معروف في سائر الشرق ، غير مجهول في عالم الغرب ، وإن لقب « حكيم الشرق » ولقب « الأستاذ الامام » لاصقان بهما ، ومغنيان عن تسميتهما ، وقد أجمع العارفون والمدونون للتاريخ الحديث على أنهما مصدر هذه النهضة العصرية في مصر ، والأفغان ، وإيران ، والهند •

وكتب محمد رشيد رضا في كتابه المذكور ما حاصله :

ان صحيفة « مصر » وصحيفة « التجارة » كتبتا من نعوت السيد وألقابه أنه « مهبط أسرار الحكمة ، واصطربلاب فلك العلوم ، واسطقس هيولى الفلسفة » وإن له في صحيفة مصر مقالتين :

احدهما في الحكومات الشرقية وانواعها ، والثانية سماها « روح البيان في الانجليز والأفغان » أثرت هاتان المقالتان في نفوس العلماء ، ومالت اليهما أعناق الحكام السياسيين عجباً ، حتى ان « غلادستون » زعيم حزب الحرية في انجلترا أثبت في بعض الصحف رسالة تشهد للسيد جمال الدين الأفغاني أنه من أعلام الشرق وأعيان العلماء حالة كون الانجليز من أعدائه الألداء (٢) •

وأيضاً كتب محمد رشيد رضا في كتابه تحت عنوان « فلسفة السيد جمال الدين » يقول :

« لاتزال فلسفة اليونان والعرب تدرس في بلاد الأعاجم ، ولكن قل

(١) حينما كتبه كانت الامبراطورية الانجليزية ما زالت باقية في الهند والآن تحققت نبوءته كاملة •

(٢) من كتاب تاريخ الشيخ محمد عبده ص ٤٥ •

من يقرؤها في البلاد العربية ، كمصر ، والشام ، وقد تلقى السيد جمال الدين الفلسفة العربية القديمة في بلاده ، ثم تلقى شيئاً من الفلسفة الأوروبية والرياضيات على الطريقة الحديثة في الهند ، وكان قد تصوف قبل ذلك علماً وعملاً ، فكانت فلسفته مزيجاً من التصوف ، والفلسفة القديمة والحديثة ، أى كان له رأى خاص في العلوم العقلية ، وعلم النفس ، والاخلاق ، وعلم الوجود ، والتكوين ، يستدل عليه ويفند رأى من يخالفه ، ولا معنى للفيلسوف الا هذا » . (١)

وحكى الأستاذ الإمام محمد عبده عن درس السيد « للإشارات » أى اشارات ابن سينا مانصه :

« بين - حفظه الله - وأثبت أن الانسان نوع الحيوانات الأرضية ، (لا كما يزعم أرباب الأوهام كالصينيين ، وقدماء الفرس ، من أنهم أبناء السماء) .

ثم شرح الامام محمد عبده وأثبت تلك الدعوى ، وعلق عليها ، بما يأتى :

« فاذا قابلنا هذا القول برد السيد جمال الدين الافغانى على مذهب « داروين » ، وعلى الماديين ، الذين يقولون :

« انه لا فرق بين الانسان وبقية الحيوانات » يتجلى لنا أن مذهبه وسط : بين المذاهب في ذلك ، وهو أن الانسان حيوان مترك من جهة ، وملك أرض من جهة أخرى ، أى أنه جامع لخواص الجنسين » . (٢)

وكتب السيد محمد رشيد رضا في كتابه (٣) نقلاً من رسالته التى أرسل بها الى السيد جمال الدين الافغانى حين ما كان السيد فى الاستانة بعد ما ذكر من أوصافه وفيوضه يقول :

« انى حتى الآن لم أقف على شيء من سيرة سيدى الا ما كتبه سليم أفندى العنحورى فى كتاب له خلط فيه الخطأ بالصواب ، وما نقل فى منتخبات اديب بك اسحق ، وما كتبه الأستاذ الفاضل الشيخ محمد عبده - حياه الله تعالى - على رسالة سيدى فى النسبة بين الدين والكفر فى العمران ، ولم أحظ بشيء من آثاره النفسية الا الرسالة المشار اليها آنفاً ، وتاريخ الافغان ، والاعداد (١٨) التى صدرت من « العروة الوثقى » هذا كل

(١) تاريخ الشيخ محمد عبده ص - ٧٩ .

(٢) من كتاب محمد رشيد رضا ص - ٨٠ - ٨١ .

(٣) ص ٨١ - ٨٧ .

ما أرويه وأثره عن سيدي ، وهو ان كان قليلا بالنسبة لمن أضر به الظما فلا يكتفى بقليل من الورود ، لكنه لا يقال له قليل بالاضافة لما فيه من عظيم الفائدة ، التي لا يغنى عنها لقاء المثين والألوف من المشيخة ، ولا مطالعة أسفار المتقدمين ، والمتأخرين في الفنون ، فله أنت من ذي نفس زكية وروح قدسية » .

٣ - لو نقرأ حياة الأمير شكيب أرسلان وآثاره وخدماته لثبت لنا : أن الأمير شكيب أرسلان استفاد في مكافحاته من تلقينات السيد جمال الدين وأنوار صحبته ، كما استفاد من توجيهات تلميذه الصديق الاستاذ محمد عبده ، جاء في كتاب (الأمير شكيب أرسلان حياته وآثاره) للدكتور سامي الدهان ما يأتي :

(وقر في نفسه (أى نفس الأمير شكيب أرسلان) ، أن يتصل بجمال الدين ، وأن يسافر اليه ، لينهل من ينبوعه ، ويستقى منه فيروى ظمأ نفسه ، وغليل روحه ، ويقف على كثير مما كان يعتلج في قلبه من الأسئلة ، فسافر الى باريس واتجه منها الى الاستانة ، واجتمع بجمال الدين سنة ١٨٩٢ م ، وهو في الثانية والعشرين من العمر ، فنفض أمامه جملة مشاهداته في مصر ، وفي الغرب ، وما دار في خلدته عن الشرق والاسلام ، وموقف الاستعمار ، والتبشير منهما ، فأعجب به جمال الدين ، كما أعجب به الامام محمد عبده من قبل) وقال له :

« أنا أهنيء أرض الاسلام التي أنبتك » .

قال الأستاذ الأمير شكيب أرسلان :

« وكنت لما عدت من أوروبا الى الاستانة ١٨٩٢ م ، ذهبت اليه في نهار وصولي ، فاستقبلني برا وترحيبا ، ولزمته تلك المدة ، الى أن اضطرت الى السفر الى وطني سورية ، ففارقته أسفا » ، ثم نشر الاستاذ الأمير شكيب أرسلان عن السيد مقالة في مجلة الثقافة بدمشق ص (٣٣٧) سنة ١٩٣٣ م (١) وأيضا جاء في الكتاب المذكور (٢) في التعليق والتوضيح على قصيدة الأمير شكيب أرسلان في جمال الدين الأفغاني ما نصه :

« هي قصيدة المديح والاعجاب ، صاغها على أن هذا المصطلح كان صورة المثل الاعلى لما يحب شكيب ، ويهوى ، فرأى فيه الهمة والمنقد

(١) من كتاب الأمير شكيب أرسلان ص (٧٠) .

(٢) من كتاب الأمير شكيب أرسلان ص (١١٨) طبعة دار المعارف .

ورأى أنه فرد فى نفس الاملاك ، وعزة الافلاك ، وجود الغمام ، وطبع
سسام ، ووجه سليم ، ويراع كالغيث فى انسكابه ، وذكاء كالنار فى
ضرامه ، ومعان لو أوحيت الى جماد لهذه الشوق نحوها والغرام فهو
للمسلمين حجة فى دينهم ، وهو فى المشرقين بدر تمام » .

٤ - جاء فى الكتاب المسمى بـ « عبد الله النديم خطيب الوطنية »
بقلم الدكتور « على الحيدى » تحت عنوان « على الطريق مع الاحرار »
ما نصه :

جاء جمال الدين الافغانى الى مصر وهى ترسف فى اغلال حكم
اسماعيل ، وتتخبط فى بحر لجى من الظلمات ... ظلام سياسى ، وظلام
اجتماعى ، وظلام دينى ، وظلام خلقى ، اما ديجور الظلام الاكبر فقد كان
فى استبداد الحاكم ، وطغيانه .

جاء المفكر الافغانى عام ١٨٧١ م وكان ذوو البصيرة فى مصر
يعيشون فى حيرة يتلمسون معالم الطريق ، فاجتذبتهم احاديث جمال
الدين وازاؤه ، واستهوت افكاره الجريئة عبد الله النديم ، كما استهوت
غيره من المثقفين الذين يتوقون الى المعرفة الحقيقية ، وقد اضنت الحيرة
قلوبهم ، انتظم النديم فى عداد حواريه يتخلق هو وزملاؤه حول استاذهم
فيبسط لهم ما ينير العقول ، ويظهر العقيدة ، ويذهب بهم الى معالى الأمور
ويستلفت نظرهم الى ما وصلت اليه بلادهم من ذلة العبودية ، وبؤس
التحكم ، وهو فى كل ذلك له سلطة على دقائق المعانى ، يبرزها فى صورها
اللائقة بها ، كان كل لفظ قد خلق لمعناه (١) .

كان جمال الدين ينبه فى كل تلميذ من تلاميذه ملكات ذهنه
وضميره ، ويستحث فى قرارة طبعه غاية وسعه من الاجتهاد والهمة ،
حسب فطرته واستعداده ، كان يغرس فيهم الثقة التى هى عدة من يتولى
عظائم الأمور .

والهدف الذى كان يسعى اليه من وراء ذلك كله هو نهضة العالم
الاسلامى فى وجه الدول الغربية العظمى ، وفى وجه ملوكه وأعدائه
المتألبين عليه ، بل فى وجه أبنائه الكارهين للاصلاح كراهة الطفل المريض
لمذاق الدواء .

ومن تلاميذ السيد جمال الدين الذين رفعوا أعلام مكافحاته فى

(١) فى ص (٤٢ - ٤٣) من كتاب «عبد الله النديم خطيب الوطنية» .

مصر الامام الأستاذ محمد عبده ، و ابراهيم اللقاني ، وسعد زغلول ، وعلى
مظهر ، وحفنى ناصف ، وعبد السلام المويلحي ، وأخوه ابراهيم ، وسليم
النقاش ، واديب اسحق ، ومحمود سامى ، وعبد الكريم سلمانى ،
وعبد الله النديم ، واحمد عرابى ، وغيرهم ، ممن جاءوا بالنهضة الحديثة
فى مصر ، وبذروا بذور الحرية ، والأخوة والمعاونة والمساندة ، وتأمين
الحقوق ، واصلاح الثقافة ، ورفع مستوى المعيشة ، والمبادئ السامية
التي يحتاج اليها الناس فى حياتهم ليعيشوا فى رفاهية وسعادة .

هـ - ومما يدل على دقة فكر السيد جمال الدين الافغانى وكثرة
معلوماته وتجاربه ماروى عنه أن السلطان عبد الحميد أراد أن يوفد بعثة
من علماء الآستانة ، لكى ينشروا الدين الاسلامى فى بلاد اليابان بناء على
طلب امبراطورها ، فطلب مشورة جمال الدين فأرجعه عن عزمه وقال له :
« ان العلماء نفروا المسلمين من الاسلام ، فأجدر أن ينفروا
الكافرين » .

وقال :

« والرأى أن ترسل الى الامبراطور هدايا مع كتاب تعده فيه بتلبية
طلبه ، ثم يجتهد فى تخريج جماعة من العلماء يصلحون للدعوة ، ويدخلون
اليها من باب المعقول (١) » .

ومن فطانة السيد الأفغانى ان المهدي لما انتصر على غوردون وسرت
عاطفة العزة الاسلامية فى قلوب الهند دفع الانجليز بعض أفرادهم الى
الدخول فى الدين الاسلامى ليبرهنوا للمسلمين هناك على أنهم غير
متعصبين ، بل أنهم ممن يرجى اسلامهم جميعا ، وذلك حتى يتجنبوا امتداد
فكرة الثورة الى الهند فى ذلك الوقت ، ولذا يصف السيد جمال الدين
الانجليز :

بأن « لهم فى كل مصلحة مفسدة ، وفى كل حسنة سيئات ، وفى
كل اخلاص دغل ، وفى كل صفاء دخل ، فهم الخادعون الخائنون . بل هم
الكاذبون المنافقون » .

هذه صفاتهم لم يبق فيها ريبة عند مسلم ... ولسنا فى حاجة
لتحذير المسلمين منهم » (٢) .

(١) خاطرات جمال الدين ص ٦٧ .

(٢) جمال الدين لمحمود قاسم ص (٩٦) .

٦ - الحق أن الأمم الشرقية بنهضتها السياسية والفكرية مرهونة لإحسان الكفاح الذي أداه الزعيم الكبير والفيلسوف النابغ السيد جمال الدين الأفغانى . كما قال الأستاذ الكبير عبد الرحمن الرافعى فى فضل جمال الدين ، ومدى الرسالة التى أداها :

« ان الأمم الشرقية جمعاء مدينة بنهضتها السياسية ، والفكرية ، الى الزعيم الكبير والفيلسوف الشهير السيد جمال الدين الأفغانى . ظل الشرق قرونا عديدة رازحا تحت نير الجمود الفكرى ، والتأخر العلمى ، والاستعباد السياسى ، وبقي فى سبات عميق الى أن قيض الله له الحكيم الأفغانى (جمال الدين) . فنفخ فيه روح اليقظة ، والحياة ، وأهاب بالنفوس أن تنهض وتتحرك ، وبالعقول أن تستيقظ ، وبالأمم والجماعات أن تتطلع الى الحرية ؛ فكانت رسالته الى الشرق مبعث النهضة الحديثة . وإذا أردنا أن نتبين فى كلمة عامة فضل جمال الدين ومدى الرسالة التى أداها ، فلنذكر أنه كان فى حياته : مصلحا دينيا ، وفيلسوبا حكيما ، وزعيما سياسيا فجمع بين الزعامات الروحية والفكرية والسياسية ، واضطلع بها جميعا . فأدى من الناحية الدينية مهمة الإصلاح والتجديد التى أدى مثلها مارتن لوتر للمسيحية ، وأهاب بالأمم الاسلامية أن تفهم الاسلام على حقيقته ، وترجع الى مبادئه الصحيحة ، وفطرته الأولى وتطهره من الأوهام والخرافات ، التى أفضت الى تأخر المسلمين . ومن الناحية الفكرية أدى المهمة التى قام بها فى أوروبا فلاسفة الفكر أمثال (جان جاك روسو) و (مونتسكيو) وغيرهما ، فعمل على ائارة البصائر ، وتوجيه الأفكار الى البحث عن الحقائق ، وتحرير العقول من قيود الجمود والتقليد . ومن الوجهة السياسية : استنهض الهمم ، واستثار فى النفوس روح العزة والكرامة ، والتطلع الى الحرية ، وغرس بذور الحركات الوطنية فى مختلف البلاد الشرقية ، وقام بمثل العمل الذى اضطلع به زعماء النهضة السياسية فى الغرب « كواشنطن » و « جاربيلدى » و « مازينيو » و « كوشيت » وغيرهم . فالذى يجمع بين هذه المهام الجليلة ، ويضطلع بها معا فى عهد اشتد فيه ظلام الجهالة ، والاستبداد ، وتفرقت الكلمة وعز النصير ، وتشعبت الأهواء ، يجب أن يتسامى فى قوة النفس ، والفكر والوجدان ، الى مراتب العبقريّة . وبقيننا أن الامم الشرقية لم تقدر حتى الآن حكيم الشرق حق قدره ، ولا أدت له حقه من الوفاء والتكريم ، وسيظهر فضله على مر السنين » . (١)

(١) ص ١٤٨ - ١٤٩ - ج ٢ من كتاب «عصر اسماعيل» لعبد الرحمن الرافعى .

٧ - قال « جولد زيهر » : « ان جمال الدين » كان كما يرى « براون » فيلسوفا ، كاتباً ، خطيباً ، صحفياً ، وكان له أثر بالغ في النزعات الثورية التي حدثت في عشرات السنين الأخيرة في الحكومات الإسلامية ، وكان يرمى الى تحرير الممالك الإسلامية من السيطرة الأوروبية وانقاذها من الاستغلال الاجنبى ، والى ترقية شئونها الداخلية بالادارات الحرة المنظمة ، كما يرمى الى جامعة تنتظم الحكومات الإسلامية ، لتتمكن بهذا الاتحاد من منع التدخل الاوروبى فى شئونها » (١) .

٨ - وقد قال صاحب الفضيلة والسعادة المرحوم الشيخ مصطفى عبد الرازق باشا :

« لما جاء السيد جمال الدين الافغانى الى مصر فى أواخر القرن الماضى لم يكن فى أساليب تفكيره ومنازع اصلاحه بل ولا فى سمته وسلوكه فى الحياة ، ما يدنيه من قلوب أهل الأزهريين ، ويؤلف بينهم وبينه . كان السيد فيلسوفا ينظر - فى الدين وفى غير الدين - نظر الفلاسفة ، وكان سلوكه فى الحياة سلوك الحكماء ، وكان من الطبيعى أن يكره رجال الدين رجلا يريد أن يبعث الدراسات الفلسفية حية من قيودها ، التى دفنها الجمود فيها من أزمان .

تنكر الازهريون للسيد الافغانى ، وحاربوه فى من حاربه من أهل السلطان ، ورجال السياسة ، لكن الرجال لم يبال بأهل السلطان ولا برجال السياسة ولا بالازهرين . والأزهر حتى فى أشد عصوره ظلمة وجمودا كان لا يخلو من عناصر قوية فتية ، تنبعث الى النهضة والى الحياة من تحت ركام الماضى ، وركام الحاضر جميعا .

ولقد كان السيد جمال الدين رجلا نفاذ البصيرة ، فاهتدى بوحى بصيرته الى بعض تلك العناصر الفتية القوية ، فى الأزهر ، واهتدت اليه تلك العناصر بنور بصيرتها أيضا . كان السيد جمال الدين يحب الشباب ويسحرهم ، وكان الشباب يحبون السيد جمال الدين حبسا يكاد يطبعهم » .

٩ - قد كتب فى حق السيد جمال الدين الأفغانى ما يلى :

كاتب وخطيب ، ومصلح دينى واجتماعى ، وسياسى ، له خطرات فلسفية ، ودعوة الى تحرير الأمم الإسلامية من الاستعمار ، والتدخل

(١) من كتاب زعماء الإصلاح فى العصر الحديث للاستاذ أحمد أمين ص ١٠٥ - ١٠٦ .

«الأجنبي ، وذلك باتحادها ، وإقامة حياتها السياسية ، والاجتماعية ، على نظم دستورية . أقام جمال الدين دعوته على دعائم مستمدة من فكرته عن الجامعة الإسلامية ، التي أخذ يدعو إليها في مختلف البلاد الإسلامية ، وبين حقيقتها لدى كثير من الأمم الغربية . اتخذ من بيته بالقاهرة ملتقى لتلاميذه ومريديه ، فاستطاع بدروسه في الدين والفلسفة والأخلاق والاجتماع والسياسة ، وبمقالاته في الصحف والمجلات أن يثير الشعور الوطني ، ويحيى الشعور الديني في قلوب المسلمين ، ومن آثاره المكتوبة رسالته في :

« الرد على الدهريين » وفيها نقض الفلسفة المادية ، وصحيفة « العروة الوثقى » التي كان يصدرها مع تلميذه وصديقه الامام محمد عبده ومقالاته في مجلة « ضياء الخافقين » التي اشترك في تحريرها ، وكانت تصدر بالعربية والانجليزية ، وكتابه « تمة البيان » وهو مختصر في تاريخ الأفغان . (١)

١٠ - قال أ . ج . براون في جمال الدين في الصفحة ٢ من كتابه « الثورة الفارسية » :

« انه كان رجلا ذا خلق قوى ، غزير العلم موفور النشاط ، لا يجد الوهن اليه سبيلا ، جريئا مقداما ، وكانت فصاحته لا تجارى ، خطيبا كان أم كاتباً ، وكانت لطلعته هيبة في النفس ، وعظمة وجلال . كان فيلسوفاً ، وكاتباً ، وخطيباً ، وصحفياً ، لكنه كان فوق ذلك سياسياً » .

١١ - قال المفكر الجزائري « علي الهامى » في حق السيد جمال الدين الأفغانى : « سوف يخلد اسمه في جميع البلاد الإسلامية ، كما خلد اسم هوميروس في مدن اليونان القديمة » .

يثبت من كل ذلك أن السيد جمال الدين كان فيلسوفاً ، وناطقة الشرق ، وإن له فكراً عبقرياً . جاهد جهادا كبيرا وعظيما . ويظهر من ذلك أيضا أن من ينكر أن جمال الدين كان فيلسوفاً أو يقول انه غير مخلص ليس له دراسة فيما يتعلق بأحواله ، وأفكاره ، وجهاده أو عسى أن يكون متعصبا ، أو يخدم الاستعمار بعد أن مات السيد جمال الدين ليشكك الناس في حياة السيد ، لحساب المستعمرين والمستغلين .

(١) الموسوعة العربية الميسرة « دار القلم ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر » .

« ما هو أهم ما يريده السيد في الحياة ؟ »

الجواب على هذا السؤال سهل لمن يبحث أحوال السيد جمال الدين الافغانى الحسينى ، وتعمق فى آرائه وعمله ، وإبنى عندما قرأت عن حياة السيد ما يزيد على الخمسين كتابا بجانب العروة الوثقى ، ثم أمعنت النظر فيها ، فوجدت أن السيد عاشق للخير والسعادة لكافة الناس ، ويطلب الحرية ، والصلاح ، والفلاح لجميع الشعوب ، وهو أينما كان وأينما نزل ينظر بالدقة لأحوال الناس ، ومفاسد الحياة الاجتماعية ، وأمراضها ، ويدرس العلاج ، ويداوى الامراض الاجتماعية بأحسن الطرق .

ليس السيد مخالفا لمصالح الشعب الافغانى والايرانى والتركى والهندي والعربى واليونانى والافريقى والآسيوى والروسى والألمانى والشرقى والغربى ، حتى ولا الانجليزى ، بل هو يخدمهم جميعا . لكن يخالف الأمراء المستبدين ، والعناصر الرجعية . وذلك حفظا لمصالح الشعوب ، هو يطلب خير الشرق لأن فى أيامه كان الشرق هدفا للاستعمار والأمراء الغربيين ، ودسائسهم ، ولذلك حاول السيد أن يعلم أهل الشرق والغرب أن الاستعمار والدسائس يهددان الصلح والسلم ، وأنهما منافيان لكرامة الانسانية ، ومخالفان لتأمين الحقوق الانسانية .

كان السيد يلحق دين الاسلام خاليا من الخرافات ، لأنه متيقن بأن هذا الدين المبين يكفل الخير لعامة البشر ، وأن قوانين الاسلام ودساتيره لو أخذها الانسان وعمل بها لنجح العالم ، والدول بأسرها ، ولوصل الناس الى المعارج العالية ، والى كمال مدارج الانسانية .

بناء على هذا حق لى أن أقول ان السيد جمال الدين .

وقف حياته لمصالح الناس فى ضوء تعاليم الاسلام الحقة ، وكان الهدف العالى من الحياة عنده الخدمة للحق ، والخير .

لهذا أقرر أن السيد جمال الدين جدير بكل اجلال وتخليد وأرى أن من الحق على الممالك والشعوب التى خدمها وخصوصا الافغانيين ، والمصريين ، أن يحتفلوا بذكره يوما فى كل سنة ، تكريما لاسمه ، وتقديرا لأفكاره وخدماته .

رحمه الله رحمة واسعة ووفق الله من نهج منهجه القويم الى يوم الدين .

المخلص

« مجمل حياة »

السيد « جمال الدين » الافغانى

ولد السيد فى « أسعد آباد » وهى قرية فى محافظة « كتر »
بأفغانستان • سنة (١٢٥٤ هـ - ١٨٣٩ م) •
وتوفى فى الاستانة « استانبول » من تركيا ، فى صبيحة يوم
الثلاثاء (٩ مارس سنة ١٨٩٧ م - ٥ شوال سنة ١٣١٤ هـ) فعلى هذا
عاش السيد ستين سنة ، وبعدما توفى دفنت جثته أولا فى مقبرة المشايخ
فى الاستانة ، ثم نقل رفاته الى أفغانستان ، فى سنة (١٣٤٤ م) ، ودفن
فى منطقة « على آباد » من « كابل » عاصمة أفغانستان •

« اجمال تاريخ حياة »

السيد فى البلاد والممالك

- ١ - عاش السيد فى أفغانستان من طفولته منذ ولد سنة (١٢٥٤ هـ -
١٨٣٩ م) الى سن رشده حياة مضطربة بسبب الظلم والاستبداد
والاستعمار •
- ٢ - غادر السيد أفغانستان الى الهند مرة أولى لتكميل تحصيل ما أراد
من العلوم ، فمكث فيها سنة وعدة أشهر ، ثم عاد الى بلاده
أفغانستان فى سنة (١٢٧٣ هـ - ١٨٥٧ م) •
- ٣ - اتجه السيد الى الحجاز لأداء فريضة الحج ، وفى هذه الرحلة التى
طالت نحو عام إزار أكثر بلاد الاسلام فى الشرق ، ثم عاد الى « كابل »
فى سنة ١٢٧٤ هـ •
- ٤ - اضطر السيد لأجل ما حدث له فى أفغانستان سنة ١٢٨٥ هـ الى
الخروج منها ، فاتجه الى الهند للمرة الثانية ، لكنه لم يبق فى الهند
أكثر من شهر •
- ٥ - اضطر السيد الى الخروج من الهند فاستقل سفينة سارت به الى
مدينة « السويس » فجهأ فى أواخر سنة ١٢٨٦ هـ ، ثم اتجه الى
القاهرة مرة أولى فأقام فيها نحواً من أربعين يوماً ، لكن لما أحس
فى القاهرة العداوة من بعض رجال الدين ترك لهم القطر المصرى •

- ٦ - اتجه السيد سنة ١٢٨٧ هـ - ١٨٧٠ م الى تركيا فأقام بها ثم اضطر الى الخروج منها .
- ٧ - بعد ما أخرج من تركيا اتجه نحو الحجاز فأقام بها فترة قصيرة ، ثم قصد الى مصر مرة ثانية في (٢٢ مارس سنة ١٨٧١ م وأوائل سنة ١٢٨٨ هـ) وأقام فيها ثمانية أعوام .
- ٨ - اضطر السيد في الخروج من مصر ، فغادر ميناء « السويس » في ٢٢ أغسطس سنة ١٨٧٩ م الى الهند .
- ٩ - أقام السيد في الهند هذه المرة ثلاث سنوات وحددت إقامته في الهند من السلطات الانجليزية .
- ١٠ - غادر السيد الهند سنة ١٨٨٢ م واتجه الى إنجلترا لكن لم تطل إقامته بها مدة طويلة .
- ١١ - غادر السيد لندن في نفس سنة ١٨٨٢ م ، واتجه الى باريس .
- ١٢ - غادر السيد باريس في جمادى الاولى سنة ١٣٠٣ هـ واتجه الى إيران مرة أولى .
- ١٣ - اضطر السيد الى أن يغادر « إيران » فاتجه سنة ١٨٨٦ م الى « روسيا » وأقام بها أكثر من أربع سنوات .
- ١٤ - أخرج السيد من « روسيا » واتجه سنة ١٨٨٩ م الى « ميونخ » من بلاد ألمانيا .
- ١٥ - هناك في ألمانيا لقيه « ناصر الدين » شاه إيران ، فاعتذر له وألح عليه في أن يعود الى « إيران » فعاد اليها سنة ١٨٨٩ م للمرة الثانية .
- ١٦ - أقام السيد في « إيران » مرة ثانية ، لكن بعد مدة تغير الوضع ، وطرده من إيران فاتجه سنة ١٨٩١ م نحو البصرة ، وأقام بها مدة قصيرة .
- ١٧ - غادر السيد البصرة سنة ١٨٩١ م واتجه الى لندن مرة ثانية .
- ١٨ - غادر السيد لندن سنة ١٨٩٢ م وعاد الى تركيا مرة ثانية ، وأقام فيها الى أن توفي سنة ١٣١٤ هـ - ١٨٩٧ م .
(انا لله وانا اليه راجعون) .

« المنزلة العلمية للسيد »

بدأ السيد دراسته بتخصيل العلوم العربية من نحو ، وصرف ، ومعان ، وبيان ، وبديع ، وتاريخ ، ثم درس علوم الشريعة من تفسير ، وحديث ، وفقه ، وأصول ، وكلام ، وتصوف ، وأيضاً درس العلوم العقلية المعروفة في عصره من المنطق ، والفلسفة النظرية ، والعملية ، ويقال انه درس العلوم الرياضية ، والفلك ، وبعض النظريات في الطب والتشريح ، وفي أثناء اقامته في الهند درس العلوم الرياضية وفقاً للمنهج الأوروبي الحديث .

كان السيد يتقن اللغات الآتية :

١ - الافغانية (بشتو)

٢ - الفارسية

٣ - العربية

٤ - التركية

٥ - الاوردية

٦ - الفرنسية

٧ - الانجليزية

٨ - الروسية .

وقيل انه كان يعرف أيضاً اللغة الالمانية ويتكلم مع أهلها بها ولكن لم أجد الدليل القاطع على هذا .

« مؤلفات السيد »

- ١ - رسالة « الرد على الدهريين » .
- ٢ - مجلة العروة الوثقى فى ثمانية عشر جزءا .
- ٣ - « تنمة البيان » وهو مختصر فى تاريخ الافغان .
- ٤ - مقالاته فى مجلة « ضياء الحافقين » .
- ٥ - مقالاته فى جريدة « مصر » وجريدة « التجارة » باسمه وأحيانه باسمه المستعار الذى هو « مظهر بن وضاح » .
- ٦ - مقالته فى جريدة « الديبا » الفرنسية الشهيرة .
- ٧ - مخطوطاته التى أرسلها الى اصدقائه أو علق بها على الكتب والمسائل العلمية ، وتوجد الآن صور بعضها .

« مجمل أهم خدمات السيد »

« للشرق والاسلام بل للانسانية جمعاء »

- ١ - حاول فى أفغانستان كثيرا من الاصلاحات الاجتماعية ، حتى وصل فى الوظائف الحكومية فى عصر الأمير « محمد أعظم خان » منزلة وزيره الأول وناصره الأمين .

لكن الظروف السياسية ضاقت عليه ، كما أنه اضطر الى أن يغادر أفغانستان ، وحينما أراد السيد أن يغادرها فى عام ١٨٦٩م عرض على الأمير (شير على خان) عدة مشروعات اصلاحية ، من بينها إصدار صحيفة فى « كابل » فأشار الأمير الى المختصين بتلبية هذه الرغبة ، وكان أن انشئت مجلة أسبوعية أطلق عليها اسم « شمس النهار » (١) .

(١) ص (١٣) من مجلة ثقافة أفغانستان الطبعة فى سنة ١٩٦٥ م .

- ٢ - وجه السيد جمال الدين الأحرار في أفغانستان والهند ومصر ،
وسائر البلاد التي أقام بها أو زارها الى القيام بمقاومة الظلم
والاستبداد والاستعمار والاستغلال .
- ٣ - ألف جمعية أم القرى في الحجاز عقب أدائه فريضة الحج واتصاله
برجال الاسلام ليحقق بها فكرة الجامعة الاسلامية (١) .
- ٤ - أنشأ في مصر جريدتين ، جريدة « مصر » وجريدة « التجارة » .
- ٥ - قام السيد في مصر طوال ثمانية أعوام بالاصلاحات الاجتماعية
بوسيلة تلقيقاته وندواته وخطبه الرقيقة .
- كما أنه التحق أولا بنظام الماسونية ، ثم أنشأ محفلا وطنيا
وبذر بذور الثورة لينتزع للشعب حقوقه الانسانية من الظالمين .
- ٦ - كتب السيد في الهند رسالته « الرد على الدهريين » وأيقظ فكر
الهنود لأخذ الاستقلال .
- ٧ - أسس السيد في باريس « جمعية العروة الوثقى » ، كما أنه نشر
من هناك الى كل البلاد الاسلامية والشرقية مجلة «العروة الوثقى» .
- ٨ - كافح في ايران لمصالح الشعب الايراني بمقاومة الظلم والاستبداد .
- ٩ - حاول في روسيا مناصرة الجاليات الاسلامية ، لنيل حقوقهم
الاجتماعية ، والاقتصادية والدينية من الحكومة الروسية ، كما أنه
استطاع هناك طبع القرآن الكريم وبناء المساجد والمحافل .
- ١٠ - حاول أن يفهم سياسة الغرب وعلماءه وفلاسفته وشعوبه كيف
يخدمون الحياة السلمية والتعاون والتساند الانساني .
- ١١ - حاول في تركيا أن يوحد دول المسلمين ويؤسس الجامعة الاسلامية .
وكانت له ندوات ، ومجالس علمية عامة ، وزيارات ، ومجالس

(١) من رسالة : (الثائر الاسلامي جمال الدين الافغاني) التي كتبت عن الندوة التي
اجتمعت في دار المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين في مساء الاثنين ٢٧ ربيع
الاول (١٣٧٧ هـ - ٢١ اكتوبر ١٩٥٧ م) .

خاصة ، وكان يخطب فى المجافل ، وعلى المنابر خطبا ملتهبة ، ويقرا ويدرس على تلاميذه علوما مختلفة •

وكان عالما بالمشكلات الفلسفية القديمة والحديثة ، كما أن له آراء وأفكارا خاصة فى المسائل الكلامية ، والفلسفية العويصة ، الا أن نشاطه السياسى والاجتماعى قد أثر فيه تأثيرا عميقا حتى مات فى هذا السبيل شهيدا •

المراجع

- ١ - العروة الوثقى .
- ٢ - تاريخ الامام محمد عبده تأليف الأستاذ محمد رشيد رضا
- ٣ - رسالة الرد على الدهريين .
- ٤ - صيحة جمال الدين الأفغاني تأليف محمود أبو رية .
- ٥ - جمال الدين الأفغاني حياته وفلسفته : تأليف الدكتور محمود قاسم .
- ٦ - محمد عبده : تأليف العقاد .
- ٧ - الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي : تأليف الدكتور محمد البهي .
- ٨ - أقلام نائرة سلسلة المكتبة الثقافية للأستاذ حسن الشيخة .
- ٩ - خاطرات جمال الدين : للمخزومي باشا .
- ١٠ - جمال الدين : للأستاذ عبد القادر المغربي .
- ١١ - كتاب « التاريخ السري للاحتلال الانجليزى لمصر » تأليف مستر « بلنت » .
- ١٢ - كتاب كفتار خوش يار قلى . طبع هذا الكتاب فى المطبعة العلوية بالنجف الاشراف سنة ١٣٤٠ هـ .
- ١٣ - مجموعة الثلاثين من جريدة « التام » فى « باريس » .
- ١٤ - من جريدة « مصر » المطبوعة فى عصر اقامة السيد فى مصر .
- ١٥ - من جريدة « التجارة » المطبوعة فى عصر اقامة السيد فى مصر .
- ١٦ - من الكتاب الذى سمي بـ « جمال الدين » الذى ترجمه من الفارسية الى العربية الأستاذان صادق نشأت وعبد النعيم حسنين .

- ١٧ - كتاب مذكرات الامام محمد عبده طبع دار الهلال .
- ١٨ - كتاب : الامير شكيب ارسلان . طبعة دار المعارف .
- ١٩ - كتاب عبد الله النديم خطيب الوطنية بقلم الدكتور « على الحيدى »
- ٢٠ - كتاب « عصر اسماعيل » ج ٢ - لعبد الرحمن الرافعى .
- ٢١ - كتاب زعماء الاصلاح فى العصر الحديث للاستاذ « أحمد أمين » .
- ٢٢ - كتاب « الثورة الفارسية » لـ « براون » .
- ٢٣ - الموسوعة العربية الميسرة « دار القلم ومؤسسة فرانكلين » للطباعة والنشر .
- ٢٤ - مجلة ثقافة أفغانستان المطبوعة فى سنة ١٩٦٥ .
- ٢٥ - رسالة « الثائر الاسلامى جمال الدين الأفغانى » التى كتبت عن الندوة التى اجتمعت فى دار المركز العام لجمعية الشبان المسلمين فى مساء الاثنين (٢٧ ربيع الاول ١٣٧٧ هـ ٢١ أكتوبر ١٩٥٧ م) .
- ٢٦ - من جريدة « الديبا » الفرنسية الشهيرة . التى كتبت عن مباحثات السيد جمال الدين و « رينان » .
- ٢٧ - كتاب رشيد رضا للدكتور ابراهيم العدوى . فى سلسلة اعلام العرب .
- ٢٨ - كتاب محمد عبده لأمين عثمان فى سلسلة اعلام الاسلام .
- ٢٩ - كتاب : العروة الوثقى والثورة التحريرية الكبرى . الناشر دار العرب .
- ٣٠ - تاريخ الأفغان فى أحوال الملوك والأمراء الافغانيين .
- ٣١ - جمال الدين الأفغانى باعث النهضة الفكرية فى الشرق لـ «محمد سلام مذكور» .
- ٣٢ - من تراجم « ضياء الخافقين » .
- ٣٣ - من جريدة « المقطم » من عددها الصادر فى مارس سنة ١٨٩٧ م .
- ٣٤ - كتاب تنمة البيان فى تاريخ الأفغان . تأليف السيد جمال الدين الأفغانى .

- ٣٥ - مجموعة لمخطوطات السيد جمال الدين طبع دانشگاه « طهران »
سنة ١٣٤٢ هـ .
- ٣٦ - كتاب قاسم أمين تأليف الدكتور ماهر حسن فهمى فى سلسلة
أعلام العرب .
- ٣٧ - كتاب أحمد لطفى تأليف الدكتور حسين فوزى النجار فى سلسلة
أعلام العرب .
- ٣٨ - أحمد زكى بقلم أنور الجندى فى سلسلة أعلام العرب .
- ٣٩ - مصر للمصريين . تأليف سليم نقاش .
- ٤٠ - مشاهير الشرق . جرجى زيدان .
- ٤١ - حاضر العالم الاسلامى - تعليق شكيب أرسلان .
- ٤٢ - أم القرى - تأليف الكواكبي .
- ٤٣ - سعد زغلول . عباس العقاد .
- ٤٤ - تاريخ الماسونية العام . تأليف جرجى زيدان .
- ٤٥ - مجلة المنار - لرشيد رضا .
- ٤٦ - مقدمة العروة الوثقى للأستاذ مصطفى عبد الرازق باشا .
- ٤٧ - تطور الامم . تأليف فتحى زغلول .
- ٤٨ - مصر الحديثة (كرومر فى مصر) بقلم كرومر .
- ٤٩ - تحرير المرأة - تأليف قاسم أمين .
- ٥٠ - دائرة المعارف الاسلامية تأليف « غولد سيهير » .
- ٥١ - تاريخ الحركة القومية عبد الرحمن الرافعي .

فهرس

الموضوع	الصفحة
جنسية السيد جمال الدين الأفغانى	٧
العصر الذى ولد ونشأ فيه السيد جمال الدين	١٩
حياة السيد جمال الدين الأفغانى	٢١
سفر السيد جمال الدين الأفغانى الى الهند لأجل التحصيل	٢١
سفر السيد جمال الدين الأفغانى الى الحجاز	٢١
عودة السيد جمال الدين الأفغانى الى أفغانستان ودخوله فى سلك وظائف الحكومة	٢١
خروج السيد جمال الدين الأفغانى من أفغانستان وذهابه الى الهند مرة ثانية ومجاهداته لحرية الهنود	٢٢
خروج السيد جمال الدين الأفغانى من الهند وسفره الى مصر واقامته فى القاهرة أربعين يوما وما حدث له فى هذه المرة	٢٣
سفر السيد جمال الدين الأفغانى الى تركيا وما حدث له بإزاء المسائل السياسية	٢٤
خروج السيد جمال الدين الأفغانى من تركيا واتجاهه الى الحجاز ثم الى مصر	٢٦
عودة السيد جمال الدين الأفغانى الى مصر مرة ثانية وما حدث له فى مصر	٢٦
مجمل الخدمات التى قام بها السيد جمال الدين الأفغانى والحزب الوطنى فى مصر	٣١
منهج مدرسة السيد جمال الدين الأفغانى فى مصر	٣٨
أهم أسباب الخلاف الذى صادف السيد جمال الدين فى مصر ومنشأ فراره منها	٣٩

- ٤٠ ذهاب السيد جمال الدين الى الهند مرة ثالثة واقامته هناك
- ٤١ مجاهدات السيد جمال الدين الأفغانى فى الهند ورده على الدهريين
- ٤٢ جواب السيد جمال الدين الأفغانى ورده على الدهريين
- ٥٠ ما أفاد الدين من العقائد والخصال
- بيان مظاهر الماديين ومقاصدهم والمفاسد التى جلبها الماديون على
نظام المدنية
- ٥٢
- ٥٣ دهريو الشرق
- سفر السيد من الهند الى لندن ومنها الى باريس واقامته فيها وغايته
من تشكيل جمعية العروة الوثقى ونشر جريدتها وخدماته
الاجتماعية والسياسية للعالم الاسلامى
- ٥٤
- ٦٠ آراء السيد جمال الدين الأفغانى فى القضاء والقدر
- آراء السيد جمال الدين الأفغانى فى انحطاط المسلمين وخمولهم
وسبب ذلك
- ٦٦
- ٧٠ مجمل ما قام به السيد جمال الدين فى باريس
- ٧٢ بريطانيا تعرض عرش السودان على السيد جمال الدين الأفغانى
- ٧٣ خروج السيد جمال الدين من فرنسا واتجاهه الى ايران
- ٧٤ جمال الدين الأفغانى فى روسيا
- ٧٦ عودة السيد جمال الدين الأفغانى الى ايران
- ٧٧ اقامة السيد جمال الدين الأفغانى بالبصرة
- ٧٩ جمال الدين الأفغانى فى انجلترا
- اتجاه السيد جمال الدين الأفغانى الى تركيا مرة ثانية وما حدث له
هناك
- ٨١
- ٨٣ خطاب السيد جمال الدين الأفغانى
- ٨٩ حلية السيد جمال الدين الأفغانى
- ٨٩ عادات السيد جمال الدين الأفغانى
- ٩٠ أخلاق السيد جمال الدين الأفغانى
- ٩٢ الفكرة المحركة للسيد جمال الدين الأفغانى

الموضوع	الصفحة
العلة الحقيقية لسعادة الانسان	٩٤
نقرة السيد جمال الدين الأفغانى من قول السنن والشيعة ..	٩٩
رأى السيد جمال الدين الأفغانى فى الاجتهاد	١٠١
جوامع الكلم الماثورة عن السيد جمال الدين الأفغانى	١٠٣
هل يصح القول بأن السيد جمال الدين الأفغانى فيلسوف ؟	١٠٨
التراجم والتعليقات التى يظهر منها نبوغ السيد جمال الدين الأفغانى وعبقريته وأنه فيلسوف ومجاهد كبير فى الشرق ١٠٩	
ما هو أهم ما يريده السيد جمال الدين الأفغانى فى الحياة	١٢٠
الملخص .. مجمل حياة السيد جمال الدين الأفغانى	١٢١
اجمال تاريخ حياة السيد جمال الدين الأفغانى فى البلاد والممالك ١٢١	
المنزلة العلمية للسيد جمال الدين الأفغانى	١٢٣
كان السيد جمال الدين الأفغانى يتقن اللغات الآتية	١٢٣
مؤلفات السيد جمال الدين الأفغانى	١٢٤
مجمل أهم خدمات السيد جمال الدين الأفغانى للشرق والاسلام	١٢٤
والانسانية جمعاء	١٢٤
المراجع	١٢٧

دار الكاتب العربي للطباعة والنشر
بالمطاهرة

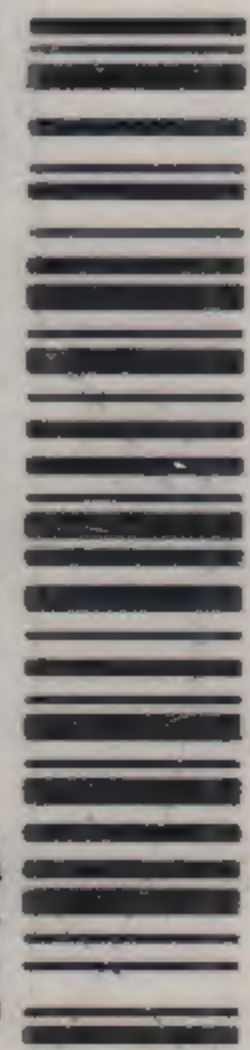
١٩٦٧ م - ١٣٨٦ هـ

العدد ١٥٠

—

التمن ٢٢

Bibliotheca Alexandrina



0681840